43

المؤسسة العربية للدراسات والنشر



أمين الريحاني
قصتي مع مي

أمين الريحاني

قصّتي مع مي

المؤسسة العربية للدراسات والنشر
بناية برج الكارلتون ـ ساقية الجنزير
ت : ٣١٢١٥٦ ـ برقياً « موكيالي » بيروت
ص . ب . ١١/٥٤٦٠ بيروت

الطبعة الاولى
١٩٨٠م – ١٤٠٠هـ



المقـدّمـة

لم يكتب الريحاني « قصتي مع مي » بقصد وضع كتاب في الموضوع . هي مقالات ، بعضها منشور[1] وبعضها مخطوط، تعالج محنة مي زيادة ، في المرحلة الأخيرة من حياتها ، من الزاوية التي رآها الأمين . وقد تعرض في واحد من هذه المقالات لقصة التعارف الأول بين الطرفين وكيف نمت العلاقات بينهما . فرأينا ان تجمع هذه المقالات في كتاب يحمل اسم « قصتي مع مي » .

المهم في الموضوع ناحيتان : الاولى ان هذا الكتاب يدخل في فن السيرة ، رغم كونها سيرة مجتزأة . وهذا الفن لم يتطرق اليه الريحاني في سائر كتبه . فكانت مي مادة للكتابة في السيرة ، بل في جانب محدد من جوانب السيرة المتشعبة والمكثفة لدى فيلسوف الفريكة . والثانية ان هذه الفصول ، او قل هذا الكتاب ، يكشف منحى هاماً من مناحي العلاقات الانسانية ، المستقرة والمضطربة ، الايجابية والسلبية ، بين أديبين كبيرين ومن شاركهما في شبك خيوط تلك العلاقات من قريب او بعيد .

---

(١) نشر مقال « اعود بك الى مي » في جريدة المكشوف ، ١٦ أيار ١٩٣٨ بعنوان « مي بين الأب شيخو والريحاني » .

انه صورة حية متحركة فاعلة ومنفعلة لطبيعة الروابط الوثيقة التي نشأت ونمت بين امين ومي، تبدأ بالتقدير وتنتهي بالاعجاب المتبادل بينهما، حتى ظن البعض، خطأ، ان علاقة عاطفية قد قامت بين صاحب «الريحانيات» وصاحبة «ظلمات وأشعة». قلت تبدأ وتنتهي، ولكنني اذهب الى حد القول انها لن تنتهي لأن موعداً قد ضربه الأمين لمي في سجل الخلود بعد الف عام(٢).

اعود الى مادة هذا الكتاب لأشير الى ان الملحق الذي أتبعناه بالفصول والمتضمن للرسائل المتبادلة بين الريحاني والمعنيين بمحنة مي، الى جانب التقارير الطبية وخلاصة عن سيرة مي ونتاجها، كل ذلك من شأنه ان يعطي فكرة متكاملة عن الموضوع الذي يعالج تلك المحنة ودور الأمين فيها.

وقد كتبت هذه الفصول خلال شهري ايار وحزيران من عام ١٩٣٨ كما يتبين من تاريخ نشر البعض منها ومن تواريخ الرسائل المذكورة والمرافقة لتلك الفصول.

«قصتي مع مي» شريط وثائقي حي يرتسم مشعاً حول مي وأمين ويقترب الى العمق الحار عند كل منهما.

بيروت، آذار، ١٩٨٠

أمين ألبرت الريحاني

---

(٢) راجع «قلب لبنان»، الطبعة الخامسة، ص ٣١٦.

- ١ -

اعتراف واستغفار

قبل أن أبدأ بهذه الصفحة من قصة «مـي» المفجعـة، عليّ أن أعترف بذنبي. فقد كنت مقصراً عن واجب الزمالة والحب. بل عن واجب الصداقة المقدس. صدقت ما صدقه جميع الناس. صدقـت الاشاعات المحزنة عندما جيء بمي من القاهرة إلى بيروت منذ سنة وعشرة أشهر، فأمسكت عن زيارتها، واستطلاع حقيقة حالها.

أمسكت عن الزيارة وأنا أبرر عملي بما تطور من مزاجي. فإنني في مواصلة العاقلين قليل الرغبة. فكيف بي في مواصلة غير العاقلين؟ إن الروح مصدر الصداقة، وإن العقل مختلط اختلاطاً قاهراً بالـروح، فمتى ذهب العقل ذهب خير ما في الروح كذلك.

قلت هذا في نفسي، ورضيت بتفلسفي، وأنا مع ذلك أحمل وزر الصداقة وذكراها، وأقف في بعض الأحايين مفكراً عن تقاعدي عن الواجب المألوف، فيزعجني الفكر ويؤلمني.

حملت وزر الصداقة وذكراها سنة وبضعة أشهر. حملتها في رحلتي

الأميركية الأخيرة ، وحملتها في عودتي الى لبنان . وحملتها حتى آخر السنة الماضية فأمسى التوبيخ أشد منهما فاعتزمت القيام بشيء من الواجب المألوف المقدس .

سألت عن « مي » فقيل لي انها في مستشفى الدكتور نقولا ربيز ببيروت . وكنت قد قرأت في جريدة « المكشوف » كلمة في مرضها ، كلمة شديدة مغلقة فيها استفهام وفيها اتهـام ، فازدادت رغبتـي في زيارتها .

وفي اليوم التالي لعيد الميلاد ، أي يوم الأحد في ٢٦ كانون الأول سنة ١٩٣٧ ، نهضت من سريري واسم « مي » يتردد في قلبي ، وذكريات « مي » تتزاحم في ذهني ، وشخصية « مي » وعبقريتها وأدبها تملأ وتهيج نفسي .

ومن غرائب الصدف ان الصديق جرجي باز زارني في ذلك النهار فاخبرنا أنه قادم من مستشفي ربيز، وانه ذهب اليه ليزور الآنسة مي ، فأعلم الممرضة بذلك ، فعادت تقول أن الآنسة مي لا تريد أن تقابله . فقلت ، كان ينبغي ان تدخل دون أن تبشر الممرضة بقدومك . ولقد عزمت أنا على أن أحرم الأديبة الكبيرة حق الرفض .

❊ ❊ ❊

٢ -
في مستشفي ربيز

قلت للممرضة أنا فلان ، واريد أن أزور الآنسة مي بلا استئذان .

فابتسمت ، وتقدمتني الى باب الغرفة ، فدخلت تنير الكهرباء فيها ، ثم أومأت أن أدخل فدخلت .

وكانت الدهشة الأولى المفرحة ، فقد جئت أزور امرأة يصح فيها ، بحسب الاشاعات ، بيت الأخطل امرأة شاحبة ناحلة . فاذا بي أمام امرأة لا ينبي وجهها ، اذا استثنينا ما يبدو في العين وحولها من أثر العذاب والغم، بشيء من الهزال والضنى .

سلمت ومشيت الى كرسي قرب السرير فجلست ، وكانت الدهشة الثانية المفرحة . فعندما رأتني الآنسة مي سارعت الى تغطية زندها المكشوف ، ثم رفعت الغطاء الى ما فوق عنقها ، وأشاحت بوجهها عني، أرسلت نظرة إلى الغرفة سريعة ، فاذا هناك الى الجانب الأيسر من السرير مائدة صغيرة عليها مزود صغير لمولد المسيح ، وحوله شجيرة عيد الميلاد وبعض الألاعيب الصغيرة وتفاحة ومشط ومرآة . والى الجانب الأيمن مائدة أخرى عليها كداسة من الجرائد والمجلات العربية والانكليزية (سألت الممرضة بعدئذ عن هذه المجلات والألاعيب فقالت انها مهداة من الممرضات وبعض المريضات والزائرين) كلمت الآنسة مي فاعتذرت عما كان من تقصير ومن اعذاري عذر صادق هو غيابي في أميركا الشمالية ثمانية اشهر . فمالت بوجهها قليلاً وهي تنظر إليّ شزراً ، ثم اغمضت عينيها ، واستمرت ساكتة ، أدركت ما وراء ذلك السكوت . فهمت معنى الختم على شفتيها ، ختم الكآبة والغيظ المكظوم. فحاولت التغلب عليه بلهجات متنوعة . ناعسة قاسية ضاحكة آسفة راجية امرة باللغتين العربية والانكلزية . فما افلحت. عيدتها وأكدت لها ان محنتها ستنتهي بانتها،

هذا العام، ورجوتها ان تكلفني، تشرفني بخدمة، فأبت وتضجرت.

- كلمة واحدة، قولي لي اذا كنت مزعجك فا سكت. قولي لي اذا كنت غير مرغوب فيَّ فأذهب. سكوت، سكوت هائل تتخلله نظرات جامدة قاسية محزنة نصف ساعة من المحاولات المخفقة. ثم جاءت الممرضة فاستنجدت بها، فهمست في اذن «مي» الرجاء الأخير، فخلتها تهمس في أذن أبي الهول.

خرجت من الغرفة قائلا، لا ارضى بهذا السكوت سأعود.

لقيت في الرواق الدكتور غصن، معاون الدكتور ربيز فاطلعت على ما كان فقال، «ها هنا من تستطيع ان تؤثر على «مي» فتكلمك» فدخلت الدار معه فعرفني الى الآنسة بدرية كريمة عطا بك الأيوبي، وكانت قد جاءت من دمشق مستشفية، فتعرفت في المستشفى الى مي فاحبتها وسرت ان مي استأنست بها، فظلت بعد أن تعافت تزورها كل يوم.

عدت الى غرفة الصديقة الصادة، تتقدمني الآنسة بدرية، ولبثت انتظر. دنت الآنسة المؤنسة من رأس السرير وانحنت فوق رأس «مي» تلاطفها، وترجوها ان تكلمني. فما كان حظها غير حظي. ما أفلحت في فض ذلك الختم، ختم السكوت الرهيب.

خرجت من القاعة احجب الأسف بابتسامة، وأعيد ماقلته لمي، لا ارضى بهذا السكوت.

* * *

الزيارة الثانية

بعد ثلاثة ايام عدت إلى المستشفى ، فرحبت الممرضة بي ، وتقدمتني تواً الى الغرفة ، فسلمت وجلست في الكرسي إلى جانب السرير، وقلت ، انا لا أتكلم اليوم . لقد قلت كل ما اريد أن أقوله في الزيارة الأولى ، وأنت تذكرين ولا ريب. اذن سأسكت . فعليك أنت أن تتكلمي . قلت هذا وسكت فنظرت اليّ شزراً . ثم مالت بوجهها قليلاً واستمرت ساكتة . فباركتها بالسكوت وأنا أحدق بها ، وهي تعيد النظرة بعد النظرة اليّ ، وكلها نظرات جامدات قاسيات فباريتها كذلك بهذا الجور، فكان كلانا للآخر كأبي الهول بعينه . لو شاهدنا مشاهد في ذلك الحين لقال ، اثنان مجنونان .

استمر هذا السكوت الهائل بضع دقائق ثم لاحٍ في عين مي وميض من النور - لاح كالبرق . فأبهجني فهتفت قائلاً ، قد تحركت النفس فيه . ستتكلمين . وكذلك كان .

تحركت شفتاها ببسمة ناعمة ، تلتها كلمات شديدة لاذعة لقد مر عليها ، وهي في نكبتها بلبنان ، سنة وعشرة اشهر. وهذه مني الزيارة الأولى ،نعم هي عاتبة ناقمة هي حاقدة .

حاولت الاعتذار فحالت الحجة دونه . «قد كنت هنا عندما جيء بي من مصر . وقد كنت هنا عندما نقلت اكراهاً الى العصفورية وقد كنت هنا أثناء وجودي في ذلك الجحيم . آه يا أستاذ . كم مرة فكرت

فيك وأنا ناقمة حانقة . أيصدق الأستاذ الريحاني ما يصدقه الناس ؟ والله لو صدقت أمة بأجمعها ما شيعه الناس بخصوص مي فيجب ألا يصدق الأستاذ الريحاني بل يجب عليه أن يجي بنفسه ويرى بعينه . هذا ما كنت أقوله لنفسي وهذا هو سبب نقمتي عليك » .

- وكيف رضيتي بالذهاب الى العصفورية ؟

- أأنا رضيت ؟ إنهم جاؤا بي إلى هنا لهذا الغرض . والدليل انهم منذ الأسبوع الأول احضروا مدير العصفورية زاعمين انه مستشرق انكليزي . وظل المستشرق المزعوم يعود المرة بعد المرة وتكلم في الشعر والأدب الانكليزي غالباً طيلة الفترة التي استبعدوني فيها عندهم ، لا لتحيطني العائلة بمحبتها كما يقولون بل لغايات يعرفونها هم ولما كنت قد أضربت عن الطعام أياماً في مصر احتجاجاً على الدسائس التي اخذوا يحيطونها حولي وخوفاً من أن يدس لي في الطعام الدواء المؤذي (وخوفي هذا لم يكن في غير محله) كذلك عدت وأضربت عن الطعام احتجاجاً على الفظائع التي ترتكب في معاملتي واحتجاجاً على سرقتي قطع من المصوفات القليلة التي جئت بها معي من مصر واحتجاجاً على تشريدي من بيتي والحجز على مالي وعلى حريتي وجاء الطبيب المعالج في العصفورية تصحبه ممرضة وكانت تلك في تاريخ العصفورية اول مرة خرج فيها طبيب الى بيت مريض ليحمله الى المارستان وعندئذ حنان أقاربي ووفاؤهم وحرجهم على صحتي وعلى كرامتي كلها ظهرت في أجلى المظاهر اذ كتفني طبيب العصفورية بجاكيت المجانين تساعده الممرضة ونفحني بابرة مورفين بساقي وأنا اصيح من فرط الوجع واستغيث .

«واه يا بيروت؟ كيف احتملت ان أجتاز شوارعك في ذلك الموكب المشين الأليم؟ كيف احتملتي الدموع التي سكبتها في تلك السيارة وأنا بين ذلك الطبيب وتلك الممرضة اشعر بوحدة رهيبة في الدنيا وأرى القدر المروع المعد لي دون ان أدري لماذا؟

«بحجة التغذية وباسم الحياة ألقانـي اولئـك الأقـارب في دار المجانين احتضر على مهل وأموت شيئاً فشيئاً لست ادري اذا ما كان الموت السريع هيناً اما الموت البطيء طيلة عشرة شهور وأسبوع مع التغذية القهرية تارة من الفم بتقطيع لحمة الأسنان وطوراً من الأنف بواسطة النبـريج ليصـب ما يصـب من الداخـل نزولا الى الحلـق فالصدر، فذلك موت لا أظن أن انساناً يحتمل الأصحـاء برباطـة جأش الى وصفه. ومع ذلك فكان أقاربي في زياراتهم النادرة يستمعون الي بسرور وأنا أصف نكالي وشقائي راجية منهم عبثاً أن يرحموني ويخرجوني من العصفورية».

- وكيف مصر؟

تأوهت مي ومضت تقص عليَّ قصتها من أولها. فذكرت ما عراها من الهم والوحشة بعد وفاة والديها وسياحتها في اوروبا بعد ذلك وعندما ذكرت زيارتها لاوكسفورد ذلك المعهد العلمي الأشهر تذكرت مقالا لها في الاهرام وصفت فيه تلك الزيارة. فاستجلت هي الذكرى. إلا انها لم تقف عندها فقد نبهت فيها ألم المهنة المهجورة. وذكرتها في مكتبتها النفيسة التي كانت السبب في كثير مما أصابها. ذلك انها كانت عزمت على اهدائها الى الأمة المصرية بعد وفاتها (على ان تتمتع بها طول حياتها) اعترافاً بفضل مصر عليهـا كما ارادت ان تهـدي النسـخ

المزدوجة من كل كتاب (وعندها منها عدد غير قليل) الى الأمة اللبنانية. ففاوضت بعض رجال القانون مستعلمة عن الاجراءات اللازمة لاتمام هذه الوقفية. فوصل الخبر الى اقاربها في مصر وفي بيروت فقامت الدسائس من كل صوب إلا انهم اوفدوا لها رهطاً من الرجال والنساء يحيطونها بمظاهر الصداقة ويقسمون على الأمانة والاخلاص وهم في الواقع يضربون نطاقاً عليها ويشيعون عنها بين الناس ما يتناسب ومصالحهم، وبعض ذلك الرهط يطمع في التوكل عنها.

- كان الدكتور يحيك الدسائس ضدي وينصب لي الفخ من الناحية الواحدة، ومن الناحية الأخرى يظهر لي مظهر الصديق الوفي والأخ البار. يراسلني من حين الى حين فأرد على رسائله بسرور. وكتب الي إبان شدتي تلك ينبئني بمرض زوجته ويدعوني الى تبديل الهواء في لبنان اياماً في بيته او في بيت احد اخويه. فكتبت اليه أصف ما أفهمه من حالي واعرب عن ألمي وعن املي فيه وأسأله الحضور الى مصر. فرد علي بخطاب كله عطف واهتمام ووعدني بالحضور عند تحسن صحة زوجته. على ان زوجته توفيت بعد قليل ولم يطل حتى جاء مصر. أليساعدني ويخفف من مصيبتي؟ هذا ما يزعجه على ان الحقيقة هو أنه هرع ليستكشف أعمالي وماليتي ويقف على سرائر مصالحي وشؤوني فيستولي على كل شيء في حياتي. وكان انه خاطبني برقته المألوفة في تعيينه وكيلاً عني ليخدمني ويطمئن بالي. فأجبت بأن لا املاك لي في مصر وأن اعمالي المالية منظمة تنظيماً لا يحوجني الى مساعدة احد. فألح وقال: فكّري في هذا اكراماً لي. قلت: سأفعل وإن لم يكن هناك ما يدعو الى التفكير.

« وبعد هذا الكلام بيوم واحد جاءني مع رجلين من انسبائه كانا يلازمانه في بيتي وفي الخارج طول مدة اقامته بمصر يتبعهم باشكاتب محكمة عابدين ووكيله - على ما قيل لي. وفتح الباشكاتب دفتراً كبيراً جداً على سريري وسحب الدكتور زيادة من جيبه قلم الحبر وقدمه لي طالباً ان اوقع في الدفتر. أي تأثير سيطر علي في تلك الساعة ؟ كيف لم اعجب لمجيء الباشكاتب دون ان استدعيه وكيف لم ارفض التوقيع ؟ لست ادري. بحركة ميكانيكية تناولت القلم ورفعت نظري الى الباشكاتب استفهم عن المكان من الدفتر الذي اكتب فيه اسمي. فنظر الي نظرة طويلة كأنما هو عالم بما سيجره علي هذا التوقيع من المصائب. ثم اشار الى مكانين اثنين فوضعت توقيعي مكرراً، مي زيادة، وتحته ماري زيادة.

« واخذوا بعدئذ يعدون الحقائب للسفر وأنا اعلن بثبات اني لا اترك بيتي ولا اغادر مصر. فقال الدكتور زيادة ان البيت يبقى على ما هو وكل شيء فيه في مكانه ريثما اعود من لبنان بعد شهرين. فانما ما احتاج اليه على قوله هو تغيير الهواء وتغيير المحيط. وفي لبنان لا اكون وحدي، بل يحيط بي اعضاء عائلتي الذين سينسيني حنانهم ومحبتهم اني وحيدة واني حزينة. وأقسم الدكتور يوسف باولاده وبشرفه ان يردني الى مصر حتى بعد اسبوع واحد فيما لو صارحته برغبتي في ذلك.

« اخرجوني من بيتي قبل الساعة الرابعة بعد الظهر واوصلوني الى مكان القطار وغابوا عني فبقيت جالسة حتى عاد الدكتور والرجل الآخر، وثالثهما طنوس فاعور الذي بقي في البيت بعدنا لاقفال الشبابيك والأبواب. وعندئذ قام القطار اذ نحن في منتصف الساعة

السادسة . ومنذ الاسبوع الأول في بيروت ذكرت الدكتور بوعده وقلت اني ارغب في الرجوع الى بيتي . فطيب خاطري وشوقي.وابقاني عنده شهرين ونصف شهر على مضض مني وانا اطالبه بالعودة .حتى استكمل برنامجه في امري ، على ما أظن ، فارسلني قهراً الى العصفورية كما سبق دون إذن او علم من اولي الأمر في الحكومة اللبنانية . واهملوني هناك في غم ويأس لا سلوى ولا تعزية . وكان يوسف يزعم اني سأموت جوعاً اذا ما اخرجني من العصفورية الا انه اضطر الى نقلي الى مستشفى ربيز فوصلته شبحاً . فاذا بهم هنا يستعملون في تغذيتي القهرية الملقط الحديد الخاص بالعمليات الجراحية مما لا تفلح معه مقاومة . نقلوني الى هنا اقيم أياماً ريثما يعد لي منزل اسكنه لأنه ليس معقولا ان يقطن الانسان المستشفى طوال حياته ولأن قلبي يحترق على الاقامة في منزل لي كسائر الناس على ان البيت المزعوم لم يعد في عشرة شهور. كما جاؤا بي اصطاف في لبنان شهرين وما زلت اصطاف في قلب الشتاء وبعد اثنين وعشرين شهراً .»

قد اجتزأت من القصة أهم حوادثها ، وفي التفاصيل الكثير من المحزنات . كانت « مي » تسردها بلغة صحيحة فصيحة بليغة ، وهي تنتخب الفاظها الأدبية المعروفة ، وتعتذر عن اللفظة الغليظة في بعض الأحايين . ثم تجهش في البكاء عندما تصف اساليب الاكراه التي كانت تقاسيها . ثم يهيجها الغضب فيذكي فصاحتها فتبلغ فيها درجة الابداع . حديث فصيح بليغ ، حديث متزن متصل متماسك ، لا شذوذ فيه ولا تشويش ولا ابهام . يمكنك ان تكتبه ، وهي تتكلم ، وترسله تواً الى المطبعة للصف والنشر . فهل تريد غيره برهاناً على صفاء الذهن وسلامة العقل والمنطق ؟

سألتها قائلا، ولم انت هنا؟ لم لا تنهضين فترتدين ثيابك، وتخرجين من المستشفى؟

قالت: «الى اين اذهب ولا مال لدي؟ وكيف اخرج من المستشفى والحجر علي؟ انا مقيدة يا استاذ، قيدوني، حجروا مالي، نهبوا بيتي. ورشحوا انفسهم لورثي».

عرجت على الدكتور ربيز في مكتبه فسألته رأيه في الآنسة مي، فقال يومذاك، «قد تحسنت صحتها كثيراً، فزادت عندنا عشرين كيلو. هي في حديثها صافية الذهن رائقة ولكن في سلوكها بعض الشواذات».

***

- ٤ -

أعود بك الى مي

من أطيب ذكريات الفريكة زيارة الآنسة مي منذ خمس وعشرين سنة. هبطت الينا من ضهور الشوير مع والديها، رحمهما الله، حيث كانوا يصطافون. كانت الآنسة مي يومئذ فتاة في... في... دون العشرين من سنها على ما أظن ولا ازال اتصورها في ثوبها الأبيض. وقبعتها القوراء المزدانة بالزهور، وفي ابتسامها الساحر، وروحها الزاخر بالنور - نور الحماسة والكياسة والطموح. فتاة شرقية، لبنانية

همها ولا روعها أن في الريحانيات الواناً من الأدب الحمراء سياسة ودينا واجتماعاً، او ليس في الطبيعة كذلك الوان حمراء؟ أوليس في الحياة سكاكين مشحوذة غير سكين الأب شيخو؟

ما خشيت على نفسها، ولا على عقيدتها، من الألوان الحمراء، والسكاكين المشحوذة. ومن غريب امرها، في هذا الاستقلال الفكري والعصمة الروحية، أنها كانت الصديقة الحميمة للدكتور الفيلسوف شبلي شميل، وهي المعجبة بنبوغه، وبأدبه، وبنبالة عقله.

وكانت كذلك الولية الصافية للدكتور العالم يعقوب صروف، وهي المكبرة لعلمه، المحترمة لأدبه، المعجبة كل الاعجاب بسمو اخلاقه.

ومن المعلوم أن للدكتورين الفاضلين رحمهما الله نزعات كان يسميها الأب شيخو وأمثاله من عناترة الايمان، نزعات كفرية هائلة، هي أشد من نزعتي أنا وأفظع.

مع ذلك فقد بقيت الآنسة مي في طهارتها - بعيدة عن هذه النزعات في من تجلهم كل الاجلال. لا وربك ما تأثرت بشيء منها: النشوء والارتقاء - دارون - بخنر - الافتراض السديمي - التكون الذاتي - الحلول المطلق - العدمية!...

- ارجوكم، يا أسيادي الأساتذة، أن تأذنوا لي في درسها على مهل ... وإن الله ليهدي من يشاء، ويضل من يشاء.

ولقد استمرت مي في ضلالها، او في هديها، كما تشاء انت. فلا أنا، ولا الدكتور صروف، ولا الدكتور شميل استطاع ان يغير

عقيدتها الموروثة، أو أن يدخل على ايمانها شيئاً من الاضطراب. ما استطعنا ان نفسد هذه الفتاة بالافتراضات السديمية. ولك ان تقول انه لم يلصق بها شيء من هذه العلوم. ما «علق» عليها شيء منها !!

فلقد حافظت الآنسة مي على درة الايمان، التي تتعهدها بالصقل والتنظيف على الدوام الكنيسة الرسولية الكاثوليكية المقدسة. وقد حظيت بمقابلة رئيس الكنيسة الأكبر قداسة البابا ست مرات! والأعجب من ذلك انها ظلت الى قبل محنتها بستة اشهر تحترم آباء الكنيسة، وتجزل لهم العطاء - قداسات من أجل والديها.

اني اذكر هذه الحقيقة البارزة في حياتها لأردفها بحقيقة اخرى. وهي ان الآنسة مي، على ما قاسته في السنتين الأخيرتين من العذاب الروحي والألم الروحي والجسدي، ومن الحزن الذي يولده الاضطهاد والجور، في الناس، لم تفقد ايمانها بالله، ولم تفقد ايمانها بالحياة، وبالمبدأ الالهي الذي يثير الحياة في أجمل مظاهرها، ويجلعها في أحطها وأظلمها شيئاً يرثى له ولا ينبذ.

هذي هي الحقيقة الكبرى في حياة الأديبة النابغة تثبت، فوق ما قدمت، انها منذ نشأتها مستقلة حرة في تفكيرها، تستشف مواطن الالهام حيثما وجدتها، وتستوحي الحياة في مظاهرها الكلية والجزئية، وتطالع وتدرس وتفكر دون أن تقتدي بأحد ممن تقدمها او عاصرها من الأدباء.

ولعمري ان الفكر البشري الذي ينشأ كما نشأ فكر مي، ويرتقي، ويمعن في استجلاء حقائق الحياة، ولا يتورع امام استرة التقاليد، إلا

فالذكاء وحده يذهب سدى، كالمطر على البحر، او كضوء القمر على الجبال. والذكاء والفن بدون عمل دائم وبدون صبر وثبات، لا يمكنان صاحبهما من شيء يذكر من كنوز الحياة. والذكاء والعمل بدون الفن هما السبب الاول والأخير - السبب الأوحد - في كل ما هو خاسىء ضئيل مبتذل في الأدب والشعر والفنون الأخرى الجميلة.

هذاالنوع من النبوغ - الذكاء والعمل - يكثر في بلادنا، فيطمو على كل صالح مفيد في الحياة. وليس لاولئك الموهوبين ذكاء، الممتعين بالقوة على العمل الا ان يقرأوا مي، ليدركوا السر في روعة ادبها وعظمته، فيقتدوا بها - اذا استطاعوا.

سأل احد المتعلمين فن التصوير المصور الشهير ويستلار:

- بأي شيء تمزج الوانك لتحصل على هذه الأنواع العجيبة الفريدة منها؟

فأجابه المصور قائلاً:

- بالذوق، يا ابني، بالذوق.

وما الذوق؟ اعود بك إلى العبقرية.

وما العبقرية؟ اعود بك الى مي. فان عندها خبرها، وعندها اثرها، وعندها اليوم أملها الأكبر.

حياها الله. ومتعها بخير ما في دنياه.

***



في البطريركية المارونية بالقاهرة .

شكرت سعادة القنصل وقلت قبل الوداع لسعادته اني وبعض اصدقائها نرغب في خدمتها وأننا نأمل ان تكون عونا لنا . فالآنسة هي من رعايا جلالة الملك ، هي مصرية .

عدت الى المستشفى أحمل الى مي الخبر المسر انها حرة لا حجر عليها ولا قيد . فما المانع من أن تنهض من سريرها وترتدي ثيابها وتنتقل الى نزل من نزل المدينة او الى بيت خاص يستأجر لها . فاذا استعادت حريتها عجل ذلك في تعافيها . فقالت : إني شديدة الرغبة في الانتقال من هنا الى بيت خاص ولكن اين المال ؟ لا مال لدي ، الدكتور زيادة صرف علي فاذا كان الدكتور زيادة يعطيني من المال كل شهر قدر ما يصرفه علي في المستشفى فأنا أنقل . وأرغب ان أنقل حالاً .

قلت : عليّ بالأمر. سأزور الدكتور اليوم واقترح ... فقاطعتني قائلة : لا تقترح يا استاذ. أنت الأستاذ الريحاني يجب ان تأمر. قل للدكتور أني أريد أن أنقل الى بيت خاص بي وأن عليه ان يستأجره لي عاجلاً ويعطيني ما احتاج اليه كل شهر من المال ، من مالي .

ولقد كررت هذا القول وهي تحذرني من تسويف الدكتور زيادة.

*   *   *

في بيت الدكتور زيادة

إن معرفتي بالدكتور يوسف زيادة قديمة العهد، ولكنها قليلة المواصلة. فقد اجتمعت به لأول مرة منذ ربع قرن في باريس فهداني الى اختصاصي هناك بالأمراض العصبية وكان ترجماني لديه ولا أزال أذكر المكرمة وشكره عليها، وكل مرة نلتقي - وان ندر ذلك - يسلم علي بسلام الأحباب ونعيد تلك الذكرى الباريسية القديمة. والدكتور يوسف مثال للّطف والبشاشة. وجهه على الدوام مشرق، وحديثه معسّل.

جئت من المستشفى الى بيته، فرحب بي ترحيباً مبهماً. وبعد السلام ذكرت الآنسة مي وسألته ان يطلعني على ما يعرفه من حالها وقضيتها. فباشر الحديث بدون تردد وبشيء من الارتياح. إنما عاد في تمهيده له الى يوم كانت مي سائحة في أوروبا منذ نحو ثماني سنوات، فقال انها كانت يومذاك على شيء من الاضطراب العقلي. فقد تصورت وهي في رومة ان الحكومة الفاشستية تراقبها وتتجسس عليها. والحقيقة هي عكس ذلك كما يقول،فان الحكومة عندما علمت بوجود مي في رومة ارادت ان تكرمها وتحتفي بها. ذكر الدكتور ذلك ليثبت ان مرض مي قديم العهد.

ثم انتقل إلى يوم اشتد عليها المرض في القاهرة فكتبت مي اليه ترجوه ان يسارع اليها. كتبت غير مرة، ثم نهض الى مكتبه فجاء ببعض كتبها يطلعني عليها فقلت اني صديق لا محامي فلا أشك في ما

فقلت ملحقاً: «وقولي له من فضلك أن يحضر الآن اذا امكن فإني في انتظاره» فعادت تقول: بعد نصف ساعة يكون هنا.

وما أجملها فترة عدنا فيها الى الماضي وبعدنا عن المحنة وأسبابها. وكان الحديث محض ادبي جاءت فيه مي باسلوبها الباهر والممتاز على ذكر الدكتور شميل، فقالت انه كان يكره الإدعاء والغرور كرهه للنفاق الفكري، وأنه كان يدعو المتطفلين على موائد الأدب «بالأدباتيه»، وذكرت الدكتور صروف ومناظرتها في «المقتطف» والشيخ كاظم الدجيلي في الشعر «الأبتيك»، والذي انكرت وجوده في الأدب العربي فجاء الشيخ كاظم يطلعها على ما في خزائن الكتب القديمة وعلى الأخص كتب التحف من الشعر «الأبتيك»، إلا انهم لا يعرفون له اسماً. وعندما سألت مي وما هذا الشعر الذي لا اسم له في اللغة العربية، وانتم تنتحلون له الاسم الفرعي؟ ضاق مجال المناقشة لدى الشيخ كاظم وقد كان يومئذ شريكاً للأب انسطاس الكرملي في مجلة «لسان العرب» فبادر الأب انسطاس الى نجدة صديقه وقالت مي: وراح يجلو الأسفار وينفض عنها الغبار، فقارن بعد البحث والتدقيق بلفظة غلواء «للشعر الابتيك»، غلواء هوميروس، غلواء فرجيل، غلواء ملتون بغلوائه، مرحباً بالمحترم ومرحباً بغلوائه».

وكانت الضحكة رنانة مواجة، سمعتها الممرضة في الغرفة المجاورة فجاءت تشاركنا في مرحنا وتحمل الينا كذلك خبر قدوم انيس ناصيف.

وما كان الوجه مجهولاً. فقد سبق ان عرفت صاحبه بعد ان تعرفت إلى والدته، ابنة اخت الدكتور يعقوب صروف وكريمتيها في الحمّة بفلسطين

فاستأنست بأنيس ناصيف ولما اطلعناه على الأمر قال لبيك.

فقالت مي: يجب ان يكون البيت في حي الكلية.

فقال الأنيس: وهو كذلك.

- وبأربع غرف

- وهو كذلك

- ومفروش

- ومفروش

- ومتى؟

- سأباشر البحث غداً وأظنني موفقاً

- «بقي المال».

فقلت: انا الجابي، وأظنني كذلك موفقاً.

عانقت المرضة مي وهللنا جميعاً ولو كان للفرح نور يضيء لتلألأت الغرفة في تلك الساعة بالأنوار.

عدت صباح اليوم التالي الى الدكتور زيادة فقلت له: لقد عنيت كثيراً بالآنسة مي وضحيت في سبيلها. ونحن الآن نريد ان نريحك قليلاً. نريد ان نقوم مقامك في خدمتها فنغنيك عن البحث والتفتيش والاهتمام بالبيت وبنفسها.

لأول مرة قلت هذا وأنا أرى شيئاً من الاكفهرار يغشى جبينه. فسألني بضعة سؤالات عن البيت والممرضة والخادمة فأجبت بما فيه الاقناع والاطمئنان ثم أكدت له ان ممرضة ستكون على اتصال دائم به فتطلعه كل اسبوع على حالة مي. وكان هناك يومئذ أخو الدكتور

السيد نعوم فتعرض الكلام وذكر ما يشيعه الناس عن بيتهم. فقال لا لسنا نحن الوارثين لمي بل ابناء عمها بمصر وذكر ثروتها فقال أن في اخبارها كثيراً من المبالغة وان فائدة مالها لا تكاد تكفي صرفها الشهري وان هذه الفائدة في نقص دائم بسبب الأزمات المالية والاقتصادية.

قلت: لا دخل لي في ثروتها وارثها، ولا يهمني من القضية غير صحة مي وحريتها. ان مهمتنا انا وبعض اصدقائها تنحصر في ما توجبه علينا الصداقة انها لمهمة انسانية محض انسانية. وهي تنتهي عندما تعاد الى مي حريتها، فتستمر ان شاء الله في التحسن المبشر بتمام الصحة والعافية.

ثم سألت الدكتور كم يصرف على مي في مستشفى ربيز فقال: مائة ليرة سورية. فقلت اعطني بالقيمة حوالة على البنك باسم مي. فدخل مكتبه وعاد يقول ان دفتر «الشيكات» قد نفذ وانه اذا رافقته الى مستوصفه يرسل الى البنك فيجلب دفتراً جديداً ويعطيني «شيكاً» بأربع وعشرين ليرة مصرية وهي تزيد قليلاً عن المائة ليرة لبنانية. وكذلك كان. الا اني بعد ان وصلت الى البيت يومئذ اعدت النظر في «الشك» فاذا هو مؤرخ في دسمبر ٣١ - ١٩٣٨ وقد كان يجب ان يؤرخ في دسمبر ٣١ - ١٩٣٧، اي أخر يوم في السنة الماضية. وبما اني اعلم ان البنك لا يفترض الغلط ولا يقتنع به فيرفض الشك المؤرخ بعد سنة كاملة. عدت الى مستوصف الدكتور الفت نظره للأمر، واعتذر ثم اعطاني شيكاً آخر بالقيمة مؤرخاً على الصواب.

* * *

- ٨ -

العقبة الأولى

في اليوم الأول من السنة الجديدة (١٩٣٨) رحت أعيد اسيرة الحب العائلي فلقيت عندها الآنسة بدرية الأيوبي وأنيس ناصيف والممرضة استير واكيم. دخلت اقول: أبشري. لقد جئناك بالمال وستكون هذه السنة مباركة عليك ان شاء الله. قالت: واين المال. فقدمت لها الشك، فاكفهر وجهها عندما نظرت اليه وهو بخط الدكتور. ثم اعادته اليّ بشيء من التقزز وهي تقول: لا ادفع هذا الشك ولا اريد ان يكون بيني وبين الدكتور زيادة معاملات قانونية. أريد المال اما جنيهات مصرية وإما ليرات سورية. ما راقنا هذا المظهر الجديد في سلوك صديقتنا، ولكننا اعتصمنا بالله ودارينا. فقلت لأنيس: لا اظن ان الدكتور زيادة يرفض ان يعطينا المال. وكنت قد اخبرت الدكتور بأن أنيس ناصيف يهتم باستئجار البيت وان مي وأصدقاءها يثقون كل الثقة به، لذلك اعطيته الشك وقلت له: ليذهب في اليوم التالي الى الدكتور ويسأله ان يعطيه المال. فجاء لي انيس بعد ذلك يعلمني بالرفض وقد روى لي ما قاله الدكتور زيادة بخصوص لشيك: إني عالم بانها لا توقعه. فلماذا اذن اعطانيه؟ ولماذا لم يعطني المال اذا كان عالماً بأن مي لا توقع شيكاً من شيكاته. وهناك غير ذلك مما تعلل به الدكتور في تردده، هو يخشى على مي اذا اقامت في بيت وحدها. وهو يريد ان لا تكون التبعة كلها عليه. فطلب ان يشاركه طبيب آخر يفحص مي ويعطينا بياناً رسمياً في حالها، فيجيز او لا يجيز نقلها من المستشفى.

فماشيناه. وبحثنا واياه في من يكون الطبيب فعقدنا الرأي على الدكتور جورج خياط الأستاذ في الكلية الأميركية والاختصاصي في الأمراض العصبية. وقد اعلمنا مي بذلك فقالت انها ترحب بالطبيب. فزار الدكتور خياط مي زيارتين استمرت كل زيارة اكثر من ساعة. ثم كتب بياناً ارسل فيه نسخة الى الدكتور زيادة ونسخة الى الدكتور ربيز. وفي هذا البيان المؤرخ في «يناير سنة ١٩٣٨» يقول: ان حالة الآنسة مي قد تحسنت كثيراً بفضل العناية التي لقيتها في المستشفى. فان كانت هي وبعض اصدقائها يرون ان هذا التحسن يكون اسرع اذا نقلت الى بيت خاص بها فاني ارى ان يؤذن بذلك اذا كان من المؤكد انها ستلقى هناك العناية التي تلقاها في المستشفى واكثر، يجب ان يكون عندها ممرضة تستأنس بها ويكون مشرفاً على احوال البيت شخص او اشخاص ومسؤولون. وما ذلك الا من باب التجربة. وهذا ما كنت اقوله للدكتور زيادة لقد جرب تجربات طبية، فما أفادت فعليه أن يجري هذه التجربة المعنوية الاجتماعية السيكولوجية. ان مي مضربة عن الطعام احتجاجاً على ظلم تقاسيه وأسر هي فيه. وقد قالت لي غير مرة ان اضرابها ينتهي عندما تنقل الى البيت. فتعود الى الحالة الطبيعية العادية في عيشتها. وعندي البرهان القاطع في حينه على صحة هذا القول.

سررت ايما سرور ببيان الدكتور خياط وقلت: هذه عقبة اجتزناها بسلامة.

* * *

- ٩ -

العقبة الثانية

لم نشأ أن يكون السيد أنيس ماصيف حاملاً بيان الدكتور خياط الى الدكتور زيادة، خوفاً من تعلل جديد يتعلل به الدكتور.

وقصدت الى بيته صباح الأربعاء في ١٢ يناير وأنا آمل ان يكون خوفي هاجساً زائلاً. ولكن وا أسفاه لم يكن كذلك. وما كان أشده علي وعليه ذلك النهار..

اني اسرد حوادث هذه القصة بحسب وقوعها فلا اقدم ولا اؤخر بها. وصلت الى بيت الدكتور الساعة التاسعة صباحاً فقالت الصانعة انه لا يزال في الحمام. فانتظرت الى أن دنت العاشرة فخرج الدكتور يوسف مشرق الجبين على عادته، مرحبا مؤهلاً. فقلت مقدماً بيان الدكتور خياط: انا موزع البريد اليوم فضحك وهو يفض الكتاب. وبعد ان قرأه قدمه الي لأترجمه له لأنه لا يحسن كثيراً اللغة الانكليزية. فترجمته ترجمة حرفية ثم قلت ان الدكتور خياط يشاركنا جميعاً المسؤولية. فقد اطمأن بالك، فعليك الآن ان تبر بالوعد، فقال ان ليس لديه مال في البيت فيجب ان يجلبه من البنك.

وأنه سيفعل عندما يذهب الى المستوصف. ثم انتقل بالحديث قائلاً: وعدتني مراراً بأن تقبل دعوتي للغداء فتفضل اليوم. فقلت اقبل على شرط ان يكون المال حاضراً عندما أجيء الظهر والكتاب كذلك الى الدكتور ربيز. فتمكن من خروج مي من مستشفاه؟ فأجاب قائلاً: اتفقنا.

عدت الى بيته الساعة الواحدة بعد الظهر. وكان لا يزال في المستوصف كما قالت الخادمة فحوقلت وانتظرت اكثر من نصف ساعة.

ثم قضينا ساعة في غرفة الطعام وبعد الغداء والقهوة نهض يدعوني الى مكتبه وهناك أخرج بيان الدكتور خياط مترجماً الى اللغة العربية فأعاد قراءته.. ووقف منفعلاً عند عبارة « شخص أو أشخاص مسؤولين يشرفون على أحوال مي البيتية » من هم هؤلا [illegible] ؟ ذكرت عائلة انيس ناصيف: والدته وشقيقته القريب بيتهم من البيت الذي استأجره لمي. وذكرت من اساتذة الكلية المجاورة بيوتهم لذلك البيت الأستاذ جرجس الخوري المقدسي وفي زيارته وقصصه شفاء للنفوس والأجسام.. وذكرت الخادمة التي ستقوم بخدمة البيت والممرضة (الرفيقة) ثم قلت وانا ضابط الارتباط بينك وبينهم - انا المسؤول - وقد قلت مراراً انك تثق فيّ كل الثقة.

- هذا مؤكد. ولكن هناك قنصل مصر يجب ان استشيره قبل ان تنقل مي من المستشفى. فالقنصل بناء على كتاب جاءه من الوزارة الخارجية بمصر مهتم بموضوع مي. ولا يجب ان اعمل عملاً قبل ان استشيره.

وما المانع ؟ فقد اسلفت القول اني زرت سعادة القنصل والفيته مواكباً لمسعانا الانساني وظللت أحسن الظن بالدكتور يوسف، انما قلت، انك يا دكتور وكيل مي الشرعي ولك الكلمة الأولى والأخيرة في شأنها. أما قنصل مصر فلا بأس ان تطلعه على ما تقرره. وإني أذهب

وإياك اليه لا لنستشيره بل لنعلمه بالواقع. فوافق على ذلك فقلت: لنذهب الآن، هيا بنا.

وما رأيت في الاستعجال والالحاف مضرة انما شعرت بأني مزعج الدكتور مضايقه في العمل. فقد كنت اشعر كذلك اني مسلط عليه من أجل غرض نبيل لا بد ان ندركه عاجلاً او آجلاً والأحسن عاجلاً.

إذن الى القنصلية المصرية. ولكننا عندما وصلنا حول الساعة الخامسة كان القنصل متغيباً.

قال الحاجب: قد يعود بعد ساعة. فرأيت ان نعرج على مستشفى ربيز فنقابل الدكتور ونتمم المعاملات بينه وبين الدكتور زيادة.

وجدنا الدكتور ربيز في مكتبه. وبما انه كان قد اطلع على بيان الدكتور خياط، فما خشيت المعارضة. انما رجوته أن يكون عوناً لنا في مسعانا الانساني. فقال: وما دخلي انا في الأمر، انا على الحياد. إذا شاء الدكتور يوسف ان يخرجها من المستشفى فأنا اعمل بمشيئته.

فقلت: قد اتفقت والدكتور على ذلك.

قال الدكتور يوسف: اتفقنا نعم. انما علي ان أشاور قنصل مصر.

قلت: ان نعلمه كما تم الاتفاق.

قال: نعم

قلت: قل للدكتور ربيز اذن ان يأذن لنقل مي غداً.

فقال: بعد ان نعلم القنصل.

قلت: سنذهب اليه بعد ان نخرج من هنا. ثم سألت الدكتور ربيز اذا كانت كلمة الدكتور يوسف تقوم مقام كلمة مكتوبة منه.

فأجاب بالايجاب - وكان خلال الحديث قد سأل الدكتور يوسف ما رأي الدكتور ملّر طبيب العصفورية في مي.

فقال: الدكتور ملّر يقول انها مصابة بالمانخوليت وانها ستشفى.

قال الدكتور ربيز: لا بأس اذن بهذه التجربة.

* * *

- ١٠ -

نهاية حسن الظن

عدنا من المستشفى الى القنصلية المصرية، فأرسل الدكتور سائق سيارته يسأل الحاجب اذا القنصل قد عاد. فقال الحاجب انه في البيت.

فقلت: انك تعرف القنصل (وقد علمت بعدئذ انه طبيب عائلته). سنزوره اذن في بيته.

خرج الدكتور يوسف من السيارة قبلي، وتقدمني مسرعاً فصعد الدرج الى الباب فأمسى بيني وبينه نحو عشرة امتار فما سمعت ما قاله للحاجب الذي استقبله في الباب.

ودخل دار القنصلية واستمر مسرعاً. فصعد الى بيت القنصل في الدور الثاني دون ان يتفضل بكلمة تجلو سلوكه هذا. انما الحاجب

تقدمني الى غرفة الاستقبال فأنار فيها الكهرباء ودعاني للانتظار. انتظرت خمس دقائق ثم خرجت الى الدار أسأل الحاجب أين الدكتور يوسف. فقال انه عند سعادة القنصل وانه سينزل واياه.

عدت الى الغرفة التي استقبلني القنصل فيها المرة الاولى ولبثت انتظر. انتظر النهاية. نهاية النهار، نهاية المفاوضات.

خمس عشرة دقيقة اختلى الدكتور بالقنصل. وليس عنده حسب اتفاقنا الا ان يعلمه بما قررناه وان اسهب فلا يستغرق ذلك اكثر من خمس دقائق. ولكن بعد ربع ساعة نزل الدكتور ومعه سعادة القنصل صبري بك.

فباشر هو الحديث فكان في ما قال اشد تشبثاً وتمنعاً من الدكتور زيادة. وخلاصته ان امر الآنسة مي يتعلق بالقنصلية وان الوزارة الخارجية بمصر كتبت تسأل القنصلية ان تهتم بقضيتها وأنه يجب ان تظل حيث هي الى ان يجيء جواب الوزارة على كتاب القنصل، وانه في هذه الأثناء لا يحق لها ان تخرج قطعاً من المستشفى.

ذكرت ما قاله القنصل لي في زيارتي الأولى له فعجبت لهذا الانقلاب السريع. وبما ان مهمتي محض انسانية فما رأيت ما يبرر الاستفهام والاستجواب في حدود قانونية أقامها.

إلا اني وانا احاول كظم غيظي قلت كلمة عن قداسة المهمة الانسانية وعلوها على كل شيء آخر.

فقال سعادته:

- ولكن للاختصاصيين الرأي الأول في هذه القضايا. وذكر قضية نسيم باشا وقال ان الذي خلصه من الحجز شهادة طبيب اختصاصي.

قلت: ومعنا شهادة اختصاصي. ثم وجهت كلمتي الى الدكتور يوسُف: ألم تطلع سعادة القنصل على بيان الدكتور خياط؟

فأجاب: نسيته في البيت، وسأرسله اليه صباح الغد ليذكره في جوابه الى الوزارة الخارجية.

- وجواب الوزارة على كتاباكم هذا ياسعادة القنصل، هل يطول اوانه؟

- لست ادري قد يكون اسبوعاً او اسبوعين.

في الساعة السابعة مساء من هذا اليوم المشؤوم خرجنا من بيت القنصل وركبنا السيارة وعندما وصلنا امام بيت الدكتور يوسف زيادة قبل الوداع:

- ما كنت صريحاً معي يا دكتور يوسف، فقد ماشيتك في ما شئت ولبيت طلباتك وصبرت على تعللك وتعقباتك، وعملت كل ما فيه راحة بالك وتحقيق المسؤولية عليك وما بدر مني كلمة او اشارة تسيء اليك، فيجب علي الآن ان اقول لك وهي كلمتي الأخيرة اني سأنتظر عشرة أيام، فاذا جاء جواب الوزارة على كتاب القنصل محققاً لرغبة مي ورغبة اصدقائها المهتمين بأمرها كنا مسرورين شاكرين وطوينا كشحاً عن كل ما مضى. واذا كان الجواب خلاف ذلك، فان بيننا وبينكم الرأي العام، وسأكتب، ما اعرفه عن القضية وما خبرته بنفسي.

فسمعت الدكتور وانا انزل من السيارة يردد كلمات الاطمئنان وانه لا يعمل بغير ما اريد. ولكني اعدت قائلاً: الكلمة المعول عليها هي ما سمعت. وهي كلمتي الأخيرة - استودعك الله.

* * *

- ١١ -
يوم الخيبة

يقول الأطباء وفي قولهم بعض الصواب ان مجاملة المريض والتمويه عليه خير من اطلاعه على حقيقة حاله. ومنهم من يرون ذلك واجباً عليهم وعلى اهل المريض واصدقائه.

اما في حالة الآنسة مي فالقاعدة لا تستقيم والحكمة فيها ضائعة. فليست مي من طراز الناس العادي. فهي في عقليتها الادبية ونفسيتها الفنية وحياتها الفكرية تكره التمويه والمراوغة. ولم تزدها محنتها الا تمسكاً بهذه المزايا الادبية والنفسية. ولقد ابعدتها المصيبة عن كل ما في الحياة من ظلال تلطفها او جمال يخفق، لأن منذ نشوئها عقدت فكراً صافياً، كأن فلسفة «كنت» قد تجسدت فيها. وقد كانت تشتغل قبل مرضها في ترجمة «النقد العقلي الصافي» لذلك الفيلسوف الالماني.

فهي صريحة قويمة كاسبة في البيان الفكري قاسية. واذا شعرت بشيء من التمويه في حديث من تحب فتثب حالاً اليه وقد تمسك عن ثقتها به وقد تقاطعه وتعاديه. فهل اسلك مسلك الأطباء في هذا الموقف او مسلك الفيلسوف؟ ولقد كان لزاماً لي ان اطلعها على كل ما جرى.

لا . ليس لغير الحقيقة مجال الى نفسها. خاطرت في نبذ القاعدة الطبية واطلعتها دون تمويه او تلطيف على كل ما جرى فقبلته بأذن صاغية ونفس واعية ورباطة جأش ادهشت الأطباء . الا انها ذكرتني بما كانت تقوله لي عن الدكتور ولقد طالما حذرتني من أساليبه .ثم قالت وهي تبتسم ابتسامة ندية : ولكن الخبر المسر هو عندي اليوم. فقد زارني في هذا الصباح الدكتور ربيز وهو في غير الموقف الذي عرفناه . رأيته يلين وسمعته يقول انه لا يعارض قطعاً في انتقالي من المستشفى ، وذلك بعد ان افصحت له عما اعتقدته في موقفه ، وأكدت له انه ليس من صالحه ان يعاديني . فأنكر امر العداء وقال انه على الحياد . فقلت : وهذا الحياد هو العداء بنفسه . ان لك يا دكتور ربيز شهرة واسعة ، ولي كلمة مسموعة في كل مكان تصل شهرتك اليه في البلاد العربية. فهل تريدها لك او عليك؟ ثم تابعت ضاحكة : «لقد هددته تهديداً» . فوعدني انه سيذهب واياك اليوم الى الدكتور زيادة ليجلب المال ، وبعد ذلك ، الانتقال .

نور يلوح على رأس الأكمة وظلمات تتدافع وراءها .

كنت قد ظننت اننا بلغنا امس اوج الشدة في مساعينا . فجاء هذا اليوم يزاحم البارحة في تعدد حوادثه التي كانت تخبىء لنا النتيجة المفجعة .

قابلت الدكتور ربيز واطلعته على ما كان من زيارتنا لقنصل مصر ، فتعجبت من موقفه ثم رجوته ان يذهب وحده الى الدكتور زيادة ويبذل كل ما في وسعه من اساليب الاقناع . وكنت ارجح انه سيوفقه في مهمته ويعود حاملاً لنا المال .

فقال انه سيفعل بعد ظهر ذلك النهار.

ثم لبيت دعوة الآنسة بدرية الأيوبـي لحضـور اجتماع في بيت نسيبها الأمير مختار عبد العـزيز الجزائـري . وكان من آل جزائـري الدكتور شريف والأميران مختار واحمد وحرمهم المنحدرون جميعاً من سلالة عبد القادر الكبير يسعون لانقاذ مي من محنتها . وهم عالمون، شكراً لنسيبتهم الآنسة بدرية بمجرى الحوادث التـي تقـدم ذكرهـا . فقرروا في ذلك النهار ان يشفعوا المساعي الانسانية بأخرى قانونية . فاستدعوا للأستشارة الاستـاذ بهيج تقـي الـدين ودعونـي لحضـور الاجتماع .

كان ذلك يوم الجمعة في ١٥ ك٢ . اي عيد رأس السنة الشرقية للروم الارثوذكس .اعياد... اعياد نودع ونستقبل منها والآنسة مي في محنتها تترجح بين اليأس والأمل ، ونحن نود لو كان في امكاننا ان نجعل عيداً واحداً من هذه الأعياد حقيقة مباركة لها .

اطلعت الأخوان المجتمعين في بيت الامير مختار على ما كان صباح ذلك النهار. وبعد المباحثة رأينا ان ننتظر نتيجة مقابلة الدكتور ربيز للدكتور زيادة . وكان علي ان اطلعهم على هذه النتيجة . سألت عن الدكتور ثلاث مرات بعد ظهر ذلك النهار فكان الجواب من أهل بيته انه لا يزال متغيباً - زيارات العيد! ولكني ظفرت به في المساء على غير جدوى . فقد عرج في زياراته على الدكتور زيادة فلم يجده في البيت .

وكانت أحاديثنا في ذلك النهار تحملني على اليقين بأن الدكتور ربيز يود التخلص من هذا المشكل : «خلصوني يا عمي خلصوني» اعادها

مراراً. فقلت: «خلصنا نخلصك. عليك بالدكتور زيادة. انصحه باسم الزمالة.انذره باسم الحكمة والمصلحة. وهات لنا المال». وعدني انه سيزوره في مستوصفه اليوم التالي الساعة الحادية عشرة صباحاً. وفي عودته يعرج على مي، إما معه المال واما الخبر اليقين.

ويوم السبت في ١٦ ك٢ ١٩٣٨، الساعة ١٢,٣٠ جلسنا الى المائدة واذا بجرس الباب يقرع. فعادت الخادمة تقول: الدكتور ربيز.

الدكتور (بلهجته المعتادة الواثقة الهادئة): قابلت الدكتور زيادة في مكتبه. وكان هناك اخوه المحامي المقيم بحلب وأخ آخر. كلمت الدكتور يوسف وشددت عليه بأن يأذن بنقل مي ويعطينا ما كان قد وعد به من المال. فرفض وقال - ودعمه في قوله احد اخويه - ان المسألة بيد قنصل مصر ولا يحق لأحد سواه ان يبت بها. ثم قال المحامي الاستاذ لويس: وما دخل الناس في قضية مي؟ اهلها ونحن ادرى بحالها، وبما هو موافق لها.

ثم قال الدكتور ربيز: رأيتهم معاندين. اعيد ما قلته لك البارحة، لا تعاملوني رسمياً في الأمر ولا تحرجوني. لتنهض الآنسة مي من سريرها وتلبس ثيابها وتخرج واحدى صديقاتها من المستشفى للنزهة. خذوها بعد ذلك الى بيتها وانقضى الأمر.

قلت: انت جاد في هذا؟

قال: كل الجد.

- لا احد في المستشفى يمانع؟

- لا احد يمانع.

- اليوم بعد الظهر اذن.

- اليوم. اية ساعة شئتم.

ذهبت حالا الى المستشفى فلقيت هناك الآنسة بدرية ايوبي والسيد انيس ناصيف. وسرني جداً ان مي قبلت بما اقترحه الدكتور ربيز. وكانت بدرية ايوبي قد اخبرتها بان اهلها مستعدون للقيام بأي عمل يخلصّها من المستشفى في ذلك النهار وان المال امر ثانوي. وقال انيس ناصيف: سأذهب الى البيت اذن واعود بوالدتي. فهي تريد ان ترافقك في نزهتك.

بدرية: وسنساعدك انا والممرضة في لبس ثيابك وتعبئة حقائبك. انما قبل ذلك اريد ان اكلم خالتي (حرم الأمير مختار)، فهي وحرم الدكتور شريف ترغبان في مرافقتنا.

تركت المستشفى على ان اعود الساعة الثالثة فتكون مي قد تهيأت للنزهة ويكون كل شيء حاضراً وفق رغباتها.

الساعة ٢,٢٥ فاتني ان اذكر ان جمعية الاتحاد النسائي بعد ان علمت بما هو جار في قصة مي قررت ان ترسل وفداً اليّ يستطلع حقيقة الحال ويعرض خدمات الجمعية. وكنت قد ضربت موعداً للقاء الساعة الثانية في مكتب حتي اخوان بالبلدة.

وعند خروجي من المستشفى الأهلي شاهدت سيارة قنصل مصر وفيها القنصل العام صبري بك جالساً الى جانب السائق وهي متجهة شرقاً صوب البرج. وقد رآني القنصل. فسلمنا سلاماً عسكرياً. و بعد

ان استرحت نصف ساعة وانا اشعر بأني في حاجة الى اكثر من ذلك مشيت قبيل الثالثة الى مستشفى ربيز فوصلت الى غرفة الآنسة مي في الوقت المناسب، فاذا هناك مشهد يبلبل الأفكار ويثير الأشجان. حرم الدكتور شريف والأميران مختار واحمد. ثلاث من السيدات جالسات قرب السرير ساكنات واجمات والآنسة بدرية ايوبي واقفة والممرضة عند رأس السرير ترتبان الآنسة مي في فراشها وهي تتوجع وتتفجع. ماذا جرى؟ الآنسة ايوبي تتكلم بلهجة هادئة نافذة يتدافع فيها الألم والحنق:

- وما ان انتهينا من عملنا وكنا على وشك الخروج اذ دخل الدكتور غصن (معاون الدكتور ربيز يقول: «لا يأذن قنصل مصر بنقل مي من المستشفى وهو يقول فوق ذلك ان ليس لأحد ان يتدخل في امرها غير اهلها بمصر والوزارة الخارجية. هذا كلام القنصل لي وانا قادم الآن من بيته وهذه السيكارة (التي كانت بيده) هي من سواكيره».

قالت: واين الدكتور ربيز؟

قال: كان غائباً كل هذه المدة وقد جاء مكتبه منذ عشر دقائق.

نزلنا الى المكتب فاذا هناك الأمير مختار والدكتور شريف وانيس ناصيف. فبادرته بالكلمة: ما هذا يا دكتور؟ واين منه اتفاقنا؟

فأجاب الدكتور قائلاً: لا علم لي بشيء والله. جئت من عندك الى البيت فأكلت لقمة ورحت اشرب القهوة عند نسيب لي. وعندما عدت قال لي البواب (وهوالموكل كذلك بالتلفون) ان قنصل مصر بلغه الأمر بالتلفون ...

قلت: خذ الخبر من الآنسة بدرية. تكلمي يا حضرة الآنسة. فأعادت على مسمعه ما قالته لي وكررت بشيء من الحنق كلمة الدكتور غصن وهو يشير الى السيكارة بيده وهذه السيكارة من سواكيره. (اي سواكير القنصل).

فنادى الدكتور ربيز البواب فقال ان القنصل كلمه بالتلفون وان الدكتور غصن ذهب اليه. لا اذكر اذا كان قال غير هذا، ولكنـي شككت في روايته المبهمة.

- مالنا والبواب. من هو رئيس هذاالمستشفى يا دكتور، انت او الدكتور غصن؟

- للدكتور غصن ان يقوم مقامي في غيابي.

- واتفاقنا؟وقولك ان لا احد يمانع في المستشفى بخروج الآنسة مي؟ هل يكون في مستشفاك رئيسان آمران ناهيان، فيعمل الواحد ما لا يدري به الآخر. ومن اخبر القنصل ان مي تستعد للخروج؟ وبأي حق يأمر القنصل مؤسسة وطنية نبل ان يبرز مبرراته القانـونية من الحكومة المحلية؟ ان ذلك لعجيب. وان امثالكم لأعجب.

* * *

- ١٢ -

التدبير الأخير

خرجت القضية من الدائرة الانسانية الى الدائرة القانونية ومحورها قنصل مصر. فصار علينا ان نتكلم باللسان القانوني. بعثنا نبحث

عن المحامي الأستاذ بهيج تقي الدين . وبقينا نحن الثلاثة انا والأمير مختار والدكتور شريف في المستشفى نبحث الخطط لنقرر خيرها. وكانت الآنسة بدرية هذه الفتاة الأيوبية الجزائرية الكبيرة الروح الشريفة الأخلاق تنضم الى الحلقة من حين الى حين لا لتشارك الرجال في مباحثهم، بل لتسمع وتعي، فلا يجب ان يخفى عليها شيء يتعلق بقضية مي. وعندما اقترح اخونا ان نذهب الى مي في تلك الساعة، الساعة الرابعة من ذلك اليوم المشؤوم، الى قنصلية مصر فنقابل القنصل ونستجلي موقفه الغامض قالت الآنسة بدرية: لن تجدوه في القنصلية. قد خرج منذ اكثر من ساعة. وكان ان رأيته سائراً في سيارته صوب البرج الساعة ٢,٣٠ مؤيداً كلامها. كأنه اعطى امره للدكتور غصن وخرج من القنصلية فراراً من المقابلات والاستجوابات.

وفي الساعة ٥,٣٠، جاء الأستاذ بهيج تقي الدين فرافقته الآنسة بدرية الى غرفة الآنسة مي. وبعد زيارة دامت ثلث ساعة نزل يقول: شيء فظيع. شيء فظيع. ما كنت اظن ان مثله يحدث في هذا الزمان. ان الآنسة مي متأثرة متهيجة، فلا توقع كل الوكالة. فلنؤجل ذلك الى الغد او بعده.

ويوم الأحد الساعة ١١ كنت في البيت، فزارني وفد جمعية الاتحاد النسائي المؤلف من السيدتين سلمى صائغ ونجلة كفوري ومعهما ابراهيم حتي والصحافي نجيب جابر. فتباحثنا في الموضوع واستأنفنا الاجتماع بعد الظهر في بيت الدكتور شريف. وفي ذلك الاجتماع الذي حضره الأمير مختار والدكتور شريف وحرمهما والسيدة سلمى صائغ

والآنستان بدرية ايوبي واستير واكيم، حضرنـا البحث في السعي القانوني، ثم حكم الرجال تدبيراً إضافياً وافقت عليه النساء، وضربنا موعداً للاجتماع نحن الثلاثة في اليوم التالي في مكتب السيد ابـراهيم حتي.

ويوم الاثنين في ١٧ ك٢ ١٩٣٨، عند الظهر، جاء الامير مختار والدكتور شريف يخبراني بأنهما قابلا صباح ذلك اليوم مدير الصحة العام الجنرال مرتن واطلعاه على جوهر القضية وما كان من سعي في سبيل الآنسة مي ولفتا نظره الى بيان الدكتور جورج خياط. فقال الدكتور مرتن ان شهادة الدكتور خياط يعول عليها. فهو اختصاصي في الأمراض العصبية وقد قام مقام طبيب العصفورية بضعة اشهر اثنـاء تغيبه. ثم قال ولولا فرضنا ان الآنسة مي محجوز عليها فليس ما يمنعها من ان تنقل من المستشفى اذا شاءت. هذا ما رواه الأمير مختار عن الدكتور مرتن. ثم قالا لي، وبناء على ذلك، سننقل الآنسة مي اليوم او غداً. وقد رأيا ان يقابلا مع المحامي قنصـل مصر في ذلك النهـار ليستجلوا موقفه الغامض في المسألة. فتوسمت الخـير في هذا المظهـر الجديد من القضية. وبما انني كنـت مضطـراً ان اعـود الى البيت بالفريكة، فودعت اصدقائي، على ان اعود بعد بضعة ايام. الا انني كنت متيقناً ان جهودهم ستكلل بالنجاح.

* * *

- ١٣ -
الفوز الأول

اني الخصّ ما كان بعد ذلك كما وصلني من الأخبار وانا مريض في البيت بالفريكة. لقد سعى الامير مختار والدكتور شريف والمحامي الاستاذ بهيج تقي الدين للاجتماع بقنصل مصر فلم يفلحوا. ولقدسعت الاميرات الجزائريات للاجتماع بحرم سعادة القنصل للغرض نفسه، فأخفق سعيهن.

بقي القانون ملجأ المظلوم. فقد قدمت الآنسة مي استدعاء الى المدعي العام تعلمه بما هي فيه من اسر لا مبرر له، وتطلب اطلاقها وتأمين حريتها. فما ابطأ المدعي العام الأستاذ وجيه الخوري في اهتمامه بالأمر. فزار الآنسة مي في مستشفى ربيز، فعراه مما شاهد وسمع العجب والغم.

وبعد ان زار الدكتور يوسف زيادة زيارة تحقيقية رأى ان تنقل الأديبة الكبيرة مؤقتاً الى المستشفى الأميركي. ولقد نفذ في اليوم الثاني والعشرين من شهر يناير ما قرره المدعي العام، فانتقلت مي الى ذلك المستشفى بشيء من مظهر القانون والسلطة المحلية. فكانت هي الخطوة الاولى في استعادة حريتها بل الفوز الأول على ما أقيم في سبيلها من حدود وما صنع لها من سلاسل وقيود.

* * *

الفوز الثاني

يعتقد الدكتور يوسف زيادة ان الآنسة مي مصابة بما يدعى «مرض الاضطهاد» ويقدم من البراهين على صحة اعتقاده ان مي تتصور انها مضطهدة مظلومة وانها مضربة عن الطعام، فلا تأكل الا اكراهاً ومضربة كذلك عما تهتم له المرأة الاهتمام الأكبر وهو التبرج والتجميل، فحرمت نفسها الماء والمشط والأدهان

ويعتقد كاتب هذه السطور ان الآنسة مي مضربة عن الطعام احتجاجاً على ما تقاسيه من الأسر والظلم. فهو نوع من الافصاح عن شعور دقيق زاد في ارهافه العذاب ومن ارادة شديدة زاد من شدتها الغيظ والحنق. قلت ذلك مراراً للدكتور زيادة واكدت له، بناء على ما شاهدت وعلى ما قالت لي الآنسة مي، ان الاضراب ينتهي عندما ينتهي الأسر. وقد ايدت مي قولها وقولي يوم نقلت من مستشفى ربيز الى المستشفى الاميريكي، فرأت ان شيئاً من حريتها يعود اليها فعادت الى المسلك الطبيعي المألوف في الحياة.

بدأت تأكل دون اكراه - وصارت تقدم لاصدقائها الزائرين شيئاً من الثمار وتدعوهم هاشة باشة ليشربوا واياها فنجاناً من الكوكو، وصارت تستحم وتقلّم اظافرها وتستعمل المشط والمرآة.

ومع ذلك فالدكتور زيادة مصر على اعتقاده وقد قدم استدعاء الى الوزارة الصحية في الجمهورية اللبنانية يطلب فيه تعيين لجنة من الأطباء لفحص الآنسة مي واعطاء بيان في حالها فتقرر فيه، كما قيل،

اذا كان يجب ان تعاد الى العصفورية او تبقى في المستشفى او تنقل الى بيت خاص بها. هذا الذي شاع في تحديد بحث اللجنة. ولا سبيل الى التأكيد لأن الاستدعاء لم ينشر في الجرائد كما نشر بعدئذ تقرير الأطباء. ولا علم لنا لماذا لم ينشر الاستدعاء ولما نشر التقرير.

اما اللجنة فقد كانت مؤلفة من الدكتور الجنرال مارتن مدير الصحة العام في جيش الشرق الفرنسي، والدكتور ملاّر رئيس المستشفى الاميريكي والدكتور كلميت. زار هؤلاء الأطباء الآنسة مي زيارتين فسألوها السؤالات وتباحثوا واياها وتناقشوا في مواضيع تتعلق بالمرض او تشير منه واليه. وبعد اسبوع ارسلوا الى الوزارة الصحية تقريرهم فكتب وزير الصحة والاسعاف العام الى وكيلي الآنسة الاستاذين حبيب ابي شهلا وبهيج تقي الدين يقول: «ان التقرير الطبي الذي وضعته اللجنة المخصوصة الموكول اليها فحص السيدة الموصى اليها يقول بعدم وجوب وضعها في مستشفى العصفورية».

وبعد يومين من تاريخ كتاب الوزير أي في ١٠ مارس ظهر في الجرائد تقرير اللجنة. وفيه آراء طبية لا اتعرض بها وتفاصيل لا اعتراض عليها لو كانت كاملة. فقد ذكر التقرير التغذية الاكراهية بواسطة انبوبة من «الكوتشوك» وما ذكر الحقيقة الجوهرية في حالة مي الحاضرة، وهي ان اضرابها عن الطعام والماء انتهى، وانها صارت تقبل الطعام وتأكل ثلاث مرات كل يوم وتشرب، فنجاناً من الكوكو بين الغذاء والعشاء.

فلماذا اهملت اللجنة ذكر هذه الحقيقة الجوهرية؟

اما الحدس والتكهن في اطوار المصابين بمثل المرض الذي وصفته اللجنة، فان لكل الناس فيهما الحق الذي للطبيب. فاذا قال الطبيب: «ولا يستغرب اقدام المصابين بهذه الأمراض عندما يقربون من التماثل الى الشفاء من ان ينتحروا» وقلت انا او قال غيري: ولا يستغرب شفاءهم التام وعودتهم الى بهجة الحياة. فللقولين قيمة واحدة. بل ان التفاؤل خيراً هو اقرب الى القلوب والعقول من التشاؤم. وهو كذلك اكبر قيمة وابقى.

وبعد هذا وذاك فان في التقرير الطبي تأييداً لموقف اصدقاء الآنسة مي، الموقف الذي لم يتغير منذ باشرنا السعي لاجلها. وهذا الموقف ينحصر في يقين واحد وهدف واحد.

اما اليقين فهو ان حالة الآنسة مي في تحسن مستمر.

واما الهدف فهو ان تقيم في بيت خاص بها، فتستعيد حريتها التامة، فتعود اليها الطمأنينة والسكينة، ويكون التحسن اسرع واثبت في استمراره.

فقد جاء في التقرير: (انقله بالحرف الواحد):

«ثانياً: ان حالة المريضة العمومية بالنسبة للماضي تحسنت جداً، وانه يمكن شفاؤها مع الوقت ومع استمرار المعالجة». وجاء في الختام:

«رابعاً: اما هذه المعالجات والعنايات الطبية فيمكن استعمالها في مستشفى او في منزل خصوصي.

يذكر القارىء اني ما قلت للدكتور زيادة ولا طلبت منه اكثر من ذلك. فشاءت المقادير نزاعاً فيه غيرة وفيه تحقيق لرغبة الآنسة مي واصدقائها.

فلقد فازت فوزها الأول في خروجها من مستشفى الدكتور ربيز وفوزها الثاني في انتقالها من المستشفى الاميريكي الى بيت خاص بها.

* * *

- ١٥ -

ملحق قصة مي

أخي امين،

انتظرتك اليوم فلم تنزل. وها اني ألخصّ لك ما حصل بعد ذهابك: حمل الأصدقاء الى النيابة العامة طلباً من مي تطلب فيه الاهتمام بأمرها فتوجه النائب العام الى المستشفى ثم الى بيت الدكتور زيادة وقرر وجوب اعادة الحرية الى صديقتنا. وبناء على هذا خرجت «حرّة» الى المستشفى الاميركي. أما التفاصيل فستعرفها حين نزولك. ثم ان نجلا لم تر الانتظار مستحسناً. ووافقتها على رأيها لا بل انني دفعتها للسعي في مصر حتى يعلم الأصدقاء - الذين لم ينته عملهم بعد وارجّح انه لن ينتهي قريباً - كل ما يحيط بهذه القضية وقد سافرت يوم الأربعاء الماضي.

انزل حتى نراك ونهنئك بنتيجة سعيك المبرور.

سلامي لسعدى

سامي

***

الفريكة

لبنان

حضرة صاحب المعالي احمد لطفي باشا وزير الدولة حفظه الله

كتابي ، وان كان من غير معرفة شخصية ، يحمل سلاما طيبا مقروناً بالاحترام والاعجاب. فتكفيني معرفة مترجم ارسطوطاليس ، ومنشىء النهضة الفكرية بجريدة مصر ، والكاتب الاجتماعي الكبير ، المشرقة بانوار فكره في جميع الأقطار العربية - تكفيني هذه المعرفة لمخاطبتكم في موضوع يهمكم ولا شك كما يهمني. والموضوع صديقتكم يا سيدي وصديقتنا الآنسة مي الواقفة الآن في باب الحياة والنور والذي خرجت منه منذ سنة وعشرة اشهر. فبعد ان اعطانا الدكتور خياط كتاباً يثبت ما شاهدناه ويحقق بعض رغبات مي واصدقائها توفقنا في نقلها من مستشفى ربيز الى المستشفى الاميريكي مؤقتاً. وقد أثبتت الآنسة مي صحة قولنا انها مضربة عن الطعام احتجاجاً على الظلم الذي تقاسيه ، والأسر الذي هي فيه ، وانها تنهي الاضراب عندما ينتهي اسرها. بل توقفت عن الاضراب قبل ان تعاد اليها حريتها التامة. فعلت ذلك يوم دخلت المستشفى الامريكي ، اي منذ اسبوعين ، وهي اليوم تطلب الطعام وتأكل ثلاث مرات كل يوم شأن الأصحاء من الناس.

ان هذه الحالة التي تبشر بتعافيها التام مستمرة وسيكون ولا شك اسرع في استمرارها اذا استعادت مي حريتها التامة ، وهي العامل الاكبر في تعافيها التام. وبما ان نصف القضية او جلها بمصر ، وأهل مي هناك ، لأغراض غامضة ، لا يزالون يذيعون اخبار جنونها (والمحامي الأستاذ لويس زيادة شقيق الدكتور يوسف زيادة هواليوم بمصر لغرض

يتعلق على ما اظن بالقضية) جئت اطلع معاليكم على الحقيقة التي أسلفت ذكرها والتي خبرتها وتثبتها بنفسي في الستة الأسابيع الماضية » .

ان جسم مي لا يزال في السرير بالمستشفى ولكن عقلها قد عاد الى عرشه ، ونفسها معذبة لهذا الانقسام . وهي فوق ذلك في شراك قانونية وشبه قانونية وغير قانونية وطبية وغير طبية - هي في هذه الشراك التي تستوجب اهتمامكم . فان عملاً تعملون اليوم في سبيل اديبتنا الغالية ، فتعود اليها حريتها التامة وصحتها التامة ، وحقوقها المهضومة ، لهو من الأعمال التي يسجلها الأدب لامرائه ، والزمان للخالدين من ابنائه ، وانتم في الصدر على الدوام إن شاء الله .

المخلص

***

الجمهورية اللبنانية
عدد ٥٤٤٣

حضرة الأساتذة ابي شهلا وتقي الدين المحترمين ،

أتشرف باحاطتكم علماً بصفتكم وكلاء عن الآنسة مي زيـادة ان التقرير الطبي الذي وضعته اللجنة المخصوصة الموكول اليها فحص السيدة الموصى اليها يقول بعدم وجوب وضعها في مستشفى العصفورية وقد تودع اليوم للنيابة العامة وذلك بناء على طلبها وعليه لم يعد لهذه الوزارة علاقة بهذه القضية . وتفضلوا بقبول الاحترام .

بيروت في ٨ شباط سنة ١٩٣٨
وزير الصحة والاسعاف العام
ابراهيم حيدر

* * *

تقرير اللجنة الطبية الرسمية

ننشر فيما يلي نص التقرير الطبي الذي نظمته اللجنة المعينة لفحص الآنسة مي زيادة.

ومن يطلع عليه يتحقق ان مياً الآن تعاودها صحتها وبهجتها فهي ستقيم في منزل خاص لها يساعدها على انتجاع صحتها والعودة الى العالم الأدبي تطرفه بالبدائع والغرر.

ونود أن تراعي الأقلام عواطف الآنسة اللبنانية الكريمة فتعمد الى السكوت ان سلباً او ايجاباً لأن القضية انحف من أن تتناولها الصحف والأقلام.

نص تقرير اللجنة

بعد درس تفصيلي للحالات والاعراض البادية على المريضة، واعادة النظر في تاريخ المرض؛ والاطلاع على تقارير الأطباء الذين عالجوها.

فان اللجنة الطبية المؤلفة من:

الجنرال الطبيب مارتان مدير الشؤون الصحية في المفوضية العليا.

الدكتور كلميت الاستاذ في الكلية الطبية الفرنساوية في بيروت.

الدكتور جورج مللر كبير اطباء الكلية الطبية في الجامعة الأميركية ببيروت.

تعطي الخلاصة التالية:

اولاً: ان الآنسة مي زيادة عندما وصلت الى دور اليأس الدموي

اصيبت بنوبة من نوع الماليخوليا المتواصل، مع رفض الطعام واضطراب ذهني وفقدان الارادة مع ملازمة فكرة الاضطهاد لها، فكان من الطبيعي ان تصير تغذيتها بواسطة انبوبة من «الكوتشوك» وان حالة المريضة العمومية خطيرة جدا.

وهذه الحالة استوجبت معالجتها في مستشفى العصفورية ثم في مستشفى الدكتور ربيز.

ثانياً: ان حالة المريضة العمومية بالنسبة للماضي تحسنت جداً غير انها لم تحصل على الشفاء بعد. اما قواها الجسدية فلا يزال بعضها في شلل، بينما هي لا تزال تواصل البكاء، ويرافق هذا البكاء قلق واوهام واضطرابات.

أما حالتها العقلية والعاطفية فلا تزال جافة ومحصورة ضمن نطاق فكرة الاضطهاد والخوف من المؤامرات الوهمية وهذه يمكن شفاؤها مع الوقت مع استمرار المعالجة بحكمة متناهية.

على ان الضجة والتحدث اليها بصورة مستمرة، ولا سيما البحث بالموضوع الواحد الذي هو نفس شكواها يضر بحالتها.

ثالثاً: ان حالتها هذه، تستدعي وقتاً من الصعب تحديده، لاستعمال العلاجات الطبية والمراقبة الدائمة، ليلاً ونهاراً، بواسطة ممرضة ساهرة وحريصة تتلقى التعليمات المحدودة من احد الأطباء يشير عليها بكيفية سلوكها مع المريضة واستعمال الخطة الصالحة التي يجب ان تطبعها في افكارها، سواء في المعاملات او في الاحاديث الدائمة معها.

ولا يستغرب في هذه الحالة اقدام المصابين بهذه الأمراض عندما يقربون من التماثل الى الشفاء، من ان ينتحروا بشكل فظيع وغير منتظر، تحت تأثير اضطراب او ضغط داخلي، لذلك ينبغي تنبيه الممرضة عن هذا المحذور.

رابعاً: اما هذه المعالجات والعنايات الطبية فيمكن استعمالها في مستشفى ام في منزل خصوصي.

الدكتور كالميت، الدكتور مللر، الجنرال مارتان

***

بيروت في ١٥ مارس سنة ١٩٣٨

حضرة صاحب المعالي الأستاذ احمد لطفي السيد باشا حفظه الله

بيد السرور والشكر تناولت كتابكم. وجواباً عليه اقول ان تقرير اللجنة الطبية اشد في بعضه من تقرير الدكتور جورج خياط. ولكن التحيز ظاهر فيه فان اللجنة تذكر بالتفصيل اضراب الآنسة مي عن الطعام وكيفية اكراهها عليه في مستشفى العصفورية ومستشفى الدكتور ربيز ولا تذكر انها كفت عن الاضراب عندما نقلت الى المستشفى الاميريكي وصارت تطلب الطعام وتأكل ثلاث مرات كل يوم. فلماذا اهملت اللجنة هذه الحقيقة الجوهرية؟

وفي التقرير من التكهن بخصوص الأمراض العقلية ما يجوز بل يصح عكسه. والتكهن واحد اذا كان من لجنة أطباء أو لجنة بقالين.

وقد أصدر وزير الصحة والاسعاف العام في الجمهورية اللبنانية بياناً نشر في الجرائد جاء فيه: ان التقرير الطبي الذي وضعته اللجنة يقول بعدم وجوب وضعها (الآنسة مي) في مستشفى العصفورية.

والمهم المهم فيه ان صحة الآنسة مي قد «تحسنت جداً بالنسبة للماضي».. وان «العناية» التي تصفها اللجنة «يمكن استعمالها في مستشفى او في منزل مخصوص» (التقرير).

بناء على ذلك نقلت مي امس من المستشفى الاميريكي الى منزل خاص بها ومعها ممرضة وخادمة. واني مستبشر بهذا الانتقال. بل اني

يا سيدي على يقين ان صديقتنا الغالية عائدة الى سالف حياتها وأدبها ومجدها. ولست ادري لماذا لا يسر ذلك اقاربها المحبين لها الغيورين عليها. فقد حاول الدكتور زيادة ان يعرقل كل مساعينا لأجلها وهو اليوم يريد ان يحجز عليها ليحرمها حق التصرف بمالها.

وقد يسعى اخوه الأستاذ لويس، بناء على تقارير طبية قديمة ليقيم الحجز عليها في مصر. فرجائي اليكم يا سيدي ان تبذلوا كل ما بوسعكم في سبيلها. فلا يقام حجز عندكم بدون الاجراءات القانونية القضائية التي تمكنها من الدفاع عن نفسها. وقد علمت انها ستوكل اليوم او غداً المحامين الاستاذين حبيب ابي شهلا وبهيج تقي الدين ليدافعا عن حقوقها في المحاكم اللبنانية.

لكم من وافر الاحترام، وان اعجابها بكم مثل املها كلاهما عظيم. اذن لتسبق منكم المكرمة وخصوصاً في هذا الطور من محنتها. فان كلمة اطمئنان تكتبونها اليها تساعد كثيراً في اعادة الايمان بالحياة والشجاعة والرجاء الى قلبها.

حياكم الله وأطال عزيز بقائكم

المخلص

* * *

الفريكة لبنان
في ٢٥ حزيران سنة ١٩٣٨

سيدي العزيز الفاضل صاحب المعالي الشيخ مصطفى بك عبد الرازق
وزير الأوقاف حفظه الله

احييكم تحية قلبية، مقرونة بالشوق اليكم، والدعاء لكم بالخير والعافية، واني لأرجو ان يكون باقياً في قلبكم شيء مما في قلبي من الذكرى الطيبة لاجتماعاتنا في القاهرة منذ ست عشرة سنة. ومن عجيب الصدف ان يصلني، وانا افكر في الكتابة اليكم، كتاب من صديقنا برسوم روفائيل، وفيه يذكر اجتماعنا في بيته ومعنا الصديق الفاضل الدكتور منصور فهمي. مثل هذه الذكريات كنوز روحية ثمينة. واني لأحرص على ما عندي منها. واتعهده بالحب دائماً.

أما كتابي الآن فهو عن أمل تحدوه تلك الذكرى، ومعها صورة لشخصية من الشخصيات الديموقراطية الانسانية العالية، هي شخصية مصطفى عبد الرازق. فقد جئت، يا سيدي، استعطفكم في محنة، واستنجدكم في قضية، هي محنة صديقتنا العزيزة الآنسة مي زيادة. إن قضيتها كقضية كل أديب ذي مثل اعلى في الحياة.

لا شك انكم سمعتم بها. وقد يكون وصلكم بعض اخبارها مشوشة ومكذوبة. فاسمحوا لي ان اطلعكم على ما اعلمه، وهو مما خبرته بشخصي، وعرفته من رأس الحوادث، منذ بدأنا نسعى انا وبعض الأخوان لانقاذ الآنسة مي مما كانت فيه، اي منذ ستة اشهر.

فقد نجحنا في نقلها من المستشفى إلى منزل خاص بها ، اعتقاداً من انها كانت مقسورة ، وان استعادة حريتها من اهم عوامل الصحة والعافية لها . وقد مرّ عليها الآن ، وهي في منزلها الخاص ، اربعة اشهر ، فتدير هي شؤونها بمساعدة رفيقة مقيمة معها ، وتتمتع بتمام الصحة والعافية جسدياً وعقلياً ومعنوياً .

وقد عادت إلى مزاولة أعمالها الأدبية ، فألقت محاضرة في الجامعة الأميريكية في ٢٢ مارس ، وستلقي مساء اليوم محاضرة أخرى في المدرسة الأهلية في هذه المدينة .

كل من عرف الآنسة مي في المستشفى ، ثم في بيتها الخاص ، وفيهم فارس الخوري رئيس المجلس النيابي السوري ، وخليل بك اخوه ، القاضي سابقاً في السودان ، والأمير مختار الجزائري والدكتور شريف وحرمها ، وعطا بك الأيوبي وكريماته ، وأساتذة الجامعة الأميريكية ، فضلا عن قضاة المحكمة والدكتور الجنرال مارتن ، كلهم يعرفون ما أعرفه أنا ، ويشهدون شهادة حق لا ينكرها غير الظالمين وذوي الأغراض الشخصية الأثيمة ، شهادة أمام الله والناس ان هذه الآنسة مظلومة مضطهدة محرومة حقوقها ، وانها بريئة اليوم - أقول : اليوم ، ولا أنكر ، ولا يهمني ما كانت عليه في الماضي ، إن كان في مصر أو في المستشفى هنا - انها بريئة اليوم من كل ما تتهم به من مرض أو خلل أو ضعف عقلي .

وممن زاروها ، وهي في هذه الحالة المفرحة لأصحابها ، غير الفرحة ، على ما يظهر ، لأهلها وأصحابهم ، في منزلها الخاص ، سعادة قنصل مصر صبري بك منصور . زاروها زيارتين كنت انا حاضراً

بعض الحديث في الزيارة الأولى، وكان فارس بك الخوري حاضراً في الثانية. وفي الزيارتين افصح القنصل عما عراه من السرور والغم معاً. فقد سر جداً، كما قال، بصحة مي الجيدة، وحزن لما تزال فيه من اضطهاد وحرمان. وقد وعدها بالمساعدة، ليس فقط لأنها أديبة كبيرة، بل لأنها على الأخص من الرعيةالمصرية. وأذكر انها ذكرت له مسألة المال، وانها لفي حاجة الى شيء من المال المحبوس لها في بنك مصر، فقال القنصل: اذا شرفت القنصلية أمكنك من مخاطبة بنك مصر تلفونياً.

وفي هذه الأثناء، أي بين زيارتين في منتصف فبراير والمحاضرة التي ألقتها في الجامعة في ٢٢ مارس، وهو يظهر أنه متأسف لما لا تزال مي فيه من المحنة، ويجهر بأنه، بعد زيارته لها، مقتنع كل الاقتناع أنها سليمة العقل، صافية الذهن، وانه سيساعدها لتستعيد حريتها وحقوقها، في هذه الأثناء، وفي هذا التلبيس، الذي شهده غيري وغير مي وفارس بك الخوري والأمير مختار الجزائري، كتب سعادته الى الوزارة الخارجية، يقول **ان حالة مي تتطلب الحجز عليها**!

ولماذا هذا الانقلاب؟ لماذا هذا التلون والتناقض في موقفه وسلوكه؟ لأنه، يا سيدي، صديق الدكتور يوسف زيادة، نسيب الآنسة مي والمحرك الأكبر في الدعوى التي أقيمت عليها هنا، بعد خروجها من المستشفى، أي دعوى الحجز.

إني في ما أكتبه اليكم انقل من مذكراتي في تلك الأيام. وقد كنت أقنعت الدكتور زيادة، بعد كثير المفاوضات، بنقل الآنسة مي من المستشفى فوافق، ثم اخلف وتقهقر.

زرت قنصل مصر لأول مرة في ٢٦ دسمبر سنة ١٩٣٧ مستطلعاً بعض ما خفي علي يومئذ من القضية. فقال لي ان لا حجز على مي لا دينياً ولا مدنياً، وأنها حرة ان تنقل من المستشفى اذا شاءت. وان الدكتور زيادة وكيلها يصرف عليها من مالها - الخ مما اصبح معروفاً. وقد وعد القنصل ان يساعد في ما نراه واجباً لخيرها وخلاصها. فنشرت الجرائد الخبر في اليوم التالي، وأثنت على قنصل مصر ثناء طيباً.

أما قضيتي والدكتور زيادة فهي طويلة، لا ازعجكم بها. انما اذكر منها الآن أن الدكتور، يوم وافق على نقل الآنسة مي ربط الموافقة بشرط هو ان نطلع القنصل على الأمر. فسلمت بذلك، وانا لا ادري ما يكنه الرجل. ذهبنا الى القنصلية معاً، وذلك بعد زيارتي الأولى بثلاث ايام. فصعد هو تواً الى بيت القنصل حيث كان في تلك الساعة، وتركني انا في الدار السفلى في غرفة الانتظار. اختلى الدكتور بالقنصل ربع ساعة، ثم نزل الاثنان معاً، فبادرني سعادة صبري بك بالكلام قائلا: ان نقل الآنسة مي من المستشفى غير ممكن. لان الوزارة الخارجية كتبت اليه تسأله ان يبحث في حالها، وأنه، عملاً بارادة اهلها في مصر، لا يؤذن لها بالانتقال من المستشفى!! ويوم جئنا ننقلها، بالرغم من ذلك، طلب سعادته من أحد أطباء المستشفى الا يأذن بالانتقال. فجاء الطبيب يقول: لا خروج من المستشفى: بأمر قنصل مصر. الخلاصة اننا استعنا بالحكومة المحلية، ونقلنا الآنسة مي، وجاء القنصل بعد ذلك يزورها، كما أسلفت القول، ويفصح عما يعراه من الأسف، والغم، ويعد بالمساعدة. كل هذا التذبذب والتلون، وكل هذه

الحلاوة الظاهرة والعداء الخفي، اكراماً لصديقه الدكتور زيادة ؟! لقد انكرت ذلك، كما انكره غيري، في بادىء الأمر. ولكننا، ويا للأسف، تحققناه بعدئذ كل التحقيق. فالدكتور زيادة، الذي احسن كما يقال، الى نسيبته في بادىء محنتها، وأخطأ في ارسالها الى مستشفى المجاذيب، وقد يكون تصرف بمالها تصرفاً لا يستطيع ان يقدم حساباً به، أمسى في شبه فخ يحاول الخروج منه فيلجأ الى كل وسيلة ممكنة. ومن ذلك استنجاده بالآباء اليسوعيين، وببعض الوزراء والموظفين والصحفيين، وبصديقه الحميم قنصل مصر.

فيا سيدي، ان موقف القنصل هذا الموقف مريب، مشين. ان واجب القنصل، على ما أفهم من الواجبات القنصلية، انما هو اولا لوطنه ولابناء وطنه. والآنسة مي منهم. فالقنصل الذي يسلك سلوك من ذكرت، متلوناً، مجاملاً ومعادياً لمظلومة يدّعي مساعدتها، القنصل الذي يقر بواجباته القنصلية، ويقدم على اعمال لا تشرفه كممثل لبلاده، فيصدر اوامر لا مبرر لها، ثم يتراجع أمام القوة المحلية المنفذة، وينكر ما كان منه، فيصبح اضحوكة بين الناس، ان هذا القنصل ليستوجب الفحص والاستجواب في الأقل من حكومته. وانه ليحزن يا سيدي، أن يكون هذا القنصل قنصل القطر الشقيق، القطر الحامل اليوم مشعال الثقافة العربية في الشرق والغرب.

كنت أمس في حفلة اقامها قنصل ايران على شرف رئيس الوزارة الايرانية، بمناسبة عودته من مصر الى تهران. وكان سعادته صبري منصور حاضراً، فدار الحديث بين بعض الحضور على قضية الآنسة مي، وكان المتحدثون يذكرون موقف القنصل بشيء كثير من

الامتعاض والاستنكار. أبمثل ذلك يحافظ القنصل على شرف الدولة التي يمثلها؟ ألأنه صديق لفلان يفضله على القيام بواجبه القنصلي، وبواجب الضمير والحق والانسانية؟ لا استوقفكم كثيراً عن هذه الناحية من سلوكه، وانتم للانسانية والحق والأدب والضمير ركن من الأركان، وملجأ من الملاجىء الكبرى.

اعود الى العمل الاداري. فقد كتب القنصل الى الوزارة الخارجية يطلب، كما قلت، الحجز على الآنسة مي، وارسل الى الوزارة تقرير الأطباء الأول، وفيه شيء على مي وأشياء لها. أهم هذه انها في حالة لا تبرر ارسالها الى مستشفى. وانها حرة ان تقيم حيث شاءت، اذا كان لها رفيقة مؤنسة تعاونها. وهذا ما كان. ولكن الخصوم تسلحوا بما في التقرير من آراء طبية نظرية، ومن تكهنات بخصوص الانتحار. فطلبت الوزارة الخارجية من النيابة العامة، بناء على ذلك، توقيع الحجز على الآنسة مي امام مجلس حسبي مصر. فقرر المجلس الحجز في ٩ ابريل، وعين سعادة خليل بك ثابت قيماً. ان في ما يتعلق بهذا القرار نقطاً الفت نظركم اليها:

١ - لم ترفع على مي قضية في مصر بالمعنى المفهوم من كلمة قضية. اي انها لم تبلغ فتعطى الفرصة للدفاع عن نفسها. ولا درى المجلس الحسبي المسألة، ولا عاين مي أحد من أعضاء المجلس أو من قبله.

٢ - دعوى الحجز أقيمت في محكمة بيروت قبل ان يقدم طلب الحجز الى المجلس الحسبي.

٣ - ان المحكمة المقيم في دائرتها المدعى عليه هي صاحبة الاختصاص بموجب القانون الدولي الخاص في قضايا الحجز، لأن الحكم الصالح في مثل هذه الدعوى يتوقف على دراسة شخص المدعى عليه. وهذه الدراسة لا تتيسر الا للمحكمة المقيم المدعى عليه في دائرتها.

فالحكم الصادر من محكمة لبنان، المبني خصوصاً على التقرير الطبي الأخير، المؤرخ في ٤ مايو، اي بعد التقرير الأول بأربعة اشهر، هو هو المعول عليه. اني مرسل اليكم نسخة من التقرير، واخرى من الحكم. اما الأصل الذي أقرته الحكومة اللبنانية، وأشر عليه قنصل مصر، للمعاملات الدولية فهو بيد الآنسة مي.

وبما ان قرار المجلس الحسبي قرار موقت قابل للاعتراض، «والمادة المحكوم فيها هي عرضة لأن يتقدم الى المجلس من يطلب تغييرها كلما تغيرت حال من صدر ضده القرار» جئت أطلعكم على حقيقة الحال، وحقيقة التغير فيها، واسألكم ان تعاونونا لدى المراجع الايجابية في وضع هذا الحجز، وختم هذه المأساة. كان من الممكن ان تقيم الآنسة مي وكيلا لها في مصر يقوم بهذا العمل ولكنها تعبت من المحاكم وتكاليفها، ولا مال لديها.

ويجب أيضاً أن اخبركم ان الاستاذ فارس بك الخوري كتب إلى الاستاذ خليل ثابت، وقدم اليه نسختين من الحكم والشهادة الطبية الأخيرة، وسأله، بناء على فحواهما، أن يتقدم هو الى المجلس الحسبي يطلب رفع الحجز. فأجابه قائلاً ان المجلس الحسبي لا يعتبر حكما

صادراً في لبنان. وهذا عجيب. فالمجلس قرر الحجز بناء على شهادة طبية صادرة في لبنان، فكيف يبرر موقفه المتناقض اذا صح قول خليل بك ان المجلس يرفض ان يعتبر الشهادة الطبية الثانية الصادرة في لبنان؟ والمعقول انه كما قرر الحجز بناء على بعض ما جاء في الشهادات الأولى، يستطيع ان يرفع الحجز بناء على الشهادة الثانية.

سيدي الأستاذ، إني أضع القضية بين يديكم، وارجو منكم ان تساعدوا الآنسة مي لتجتاز المرحلة الأخيرة من محنتها، وقد انتقلت قانونياً الى مصر، كما ساعدناها في اجتياز المراحل السابقة وهي في لبنان.

فاذا كان ما يقوله الاستاذ ثابت في كتابه الى الأستاذ خوري صحيحاً، فالمسألة التي تقررت إدارياً وسياسياً، تحل كذلك سياسياً وادارياً. والذي باشرها هنا يستطيع ان يكفر عن سيئاته بأن يختمها الختمة الصالحة الشريفة العادلة. أوما كان من الواجب عليه ان يرسل الى الوزارة نسخة الحكم ونسخة الشهادة الطبية الأخيرة، كما فعل في ما تقدم من عمله، فتتمكن العدالة من الجري في سبيلها على نور ما تغير من حال المدعى عليها، وما تطور من قضيتها؟ قد يكون فعل ذلك. ولكني ارجح انه لم يفعل، لما اعلمه من تحيزه لصاحبه الدكتور. ولا ارتجي الخير من هذا القنصل للآنسة مي.

فالقضية، والشهادة الطبية، وحكم المحكمة، هي بين يديكم. واني استرعي لها نظركم العالي، بل استنهض لها همتكم الشماء، بل الجأ من أجلها إلى ما تمتاز به الشخصية التي اذكرها دائماً

بالاحترام والاجلال، تلك الشخصية الشريفة العالية بديموقراطيتها وانسانيتها وادبها - شخصية مصطفى عبد الرازق. فهل يخيب لديها طالب حق، أو شاك من مظلمة؟

اني ارتقب جوابكم. دمتم موفقين معافين.

المخلص

حاشية: كنت قد كتبت في الموضوع، منذ اربعة أشهر، الى معالي الأستاذ لطفي باشا السيد. فاذا رأيتم ان تطلعوه على كتابي هذا، وعلى نسختي الحكم والتقرير الطبي، فالرأي لكم.

***

مصر في ٩ يوليو سنة ١٩٣٨

أخي العزيز امين الريحاني

تحية وسلاماً وبعد. فقد علمت من كتاب جاء من اخي خليل بك الخوري من ضهور الشوير ان الصديقة العزيزة مي مصطافة عندكم فارجو ان تتفضل بابلاغها اني ارسلت الى حضرة الصديق الاستاذ بولس الخولي خمسين جنيهاً مصرياً يصرفها من بنك مصر في بيروت ولم ارسلها باسمها حذراً من ان يعرقل قبضها للمبلغ اما اذا تبين ان ارسال المبالغ اليها رأساً يكفل وصوله اليها مباشرة ففي المستقبل سأرسل اليها ما قرره المجلس الحسبي هنا وهو خمسة عشر جنيهاً في الشهر وارجو ان تخبرني اذا كان هذا المبلغ لا يكفي لكي اطالب من المجلس ان يزيده وحالما يصلك كتابي هذا ارجو ان تتصل بالاستاذ الخولي حيثما يوجد، وقد ارسلت اليه كتابي بعنوانه في جامعة بيروت الاميركية ولا أدري هل يرسلونه اليه حيث هو فأرجو كذلك ان تؤكد للصديقة مي العزيزة انني اعتني بأمرها كما لو كانت شقيقتي ويهمني جداً المحافظة على صحتها وعافيتها وسرورها وانشراحها وأحب ان أراها في أواخر الصيف في لبنان وفي الخريف في مصر حيث تستأنف جهادها العلمي والأدبي المشهور لخير شعوب الشرق ولا سيما العربية منها وابلغها اخلص تحيتي وسلامي واستعدادي لخدمتها بأقصى ما

يبلغه جهدي ضمن نطاق القانون الذي عينت بموجبه قيماً عليها وهي قوامة ارجو أن تنتهي بأسرع ما يكون.

ولك التحية والسلام والشكر

خليل ثابت

* * *

مصر في أول اغسطس

سيدي الأخ الكريم الأستاذ امين الريحاني المحترم

تلقيت اليوم كتابك العزيز المؤرخ في ٢٨ تموز وفهمت ما حواه فأشكرك على ثقتك بي واظنك قد اطلعت في صحف بيروت على خبر استقالتي من القوامة على حضرة الأديبة الكبيرة الآنسة مي لذلك لم يعد في طاقتي ان اصنع شيئاً فيما يتعلق بهذه القضية سوى ما يتيسر لي من السعي لاقناع ولاة الامور هنا بوجوب العناية والاسراع بانصافها كما تشتهي هي وكما يروم جميع اصدقائها وعارفي فضلها. غير اني قرأت في كتابك انها تستقبل بكل سرور وترحيب كل من لا صلة له باقاربها الكرام او بأحد اسرتي المقطم والأهرام لعلمها ان الجريدتين لم تنشرا اخبار مي السارة لأصحابها كأنهما كانتا متشيعتين لمن هم السبب الأول في كل ما قاسته من العذاب والجور والاضطهاد.

فاستغربت هذه العبارة علماً مني ان المقطم نشر اخباراً سارة عن الآنسة مي وليس في المقطم من يعرف الذين تقول انهم كانوا السبب فيما قاست من العذاب والجور والاضطهاد وليس لأحد في المقطم صلة بأحد من آل زيادة او غيرهم لا في هذا القطر ولا في القطر اللبناني والسوري.

وعلى كل حال فلم اسمع ان أحداً ممن في المقطم اعرب عن رغبته في زيارة الآنسة مي سواي وقد قلت انني اتمنى ان أشاهدها في نهاية الصيف في لبنان او في اوائل الشتاء في مصر فاذا كانت تأبى علي ذلك

فلا حيلة لي سوى الاذعان. اما من عداي في المقطم فلم اسمع أن أحداً منهم طلب ذلك او اعرب عن رغبته فيها.

وعلى كل حال ارجو تبليغ حضرة الآنسة مي تحيتي وسلامي ودعائي لها بأن تظل على الدوام متمتعة بأطيب صحة وعافية لكي تواصل خدمتها الجليلة للعلم والأدب كما صنعت في الماضي.

ولحضرتك التحية والسلام.

خليل ثابت

* * *

سيدي الأخ الأعز الأستاذ امين

ارجو ان تكون بخير مع افراد العائلة الكريمة

وبعد فاني تلقيت مكتوباً من الشهم الكريم حسين بك مؤيداً وعده لنا حال عودته الى مصر وهو يسلم عليك فارجوك ان تفيدني عن موعد زيارة الجنرال مارتن الى الآنسة حتى ننزل والدكتور جبور فقد طلب حسين بك ان يعمل الدكتور جبور والدكتور شريف كل منهما تقريراً أيضاً.

بلغوا سلامنا واحترامنا الى حضرة العزيزة الآنسة مي التي نرجو ان تكون بخير وسلام. لا اعلم اذا كانت ستقبل هذه الزيارة وأرجو أن تستقبل الجنرال بحفاوة وترحيب وبشاشة كما استقبلته في المرة الأخيرة حتى يأتي تقريره كاملاً غير منقوص ودمت بخير

المخلص

خليل الخوري

ضهور الشوير

١٠ - ٨ - ٣٨

لعلك تكون اقنعت الآنسة بمقابلة فؤاد صروف الذي يصر علينا بمقابلتها.

* * *

Twitter: @abdulllah1994

سيدي الأخ امين

أول أمس زارني الدكتور شارل مالك واخبرني انه كان عازماً على مرافقة الأستاذ فؤاد صروف في زيارة الآنسة مي اليوم فرجوته ان يؤجل هذه الزيارة الى ان نأخذ وعداً من الآنسة مي بقبول فؤاد خشية الخيبة والأستاذ صروف باق هنا بضعة أيام وهو على ما يظهر يضمر وداً صافياً لمي ولا ينتمي الى اسرتي المقطم والأهرام المباركتين ويريد مقابلة الآنسة قبل مغادرته المنطقة لأنه مشتاق الى النظر اليها والتمتع بطلعتها البهية واستماع احاديثها ذات الطلاوة وأراه مخلصاً كل الاخلاص فهل من سبيل الى اقناع عزيزتنا مي بقبوله - والظاهر انها وضعت قاعدة ان لا تقابل اخوانها المقيمين في مصر فهل يمكن استثناء فؤاد من مفعول هذه القاعدة ولكل قاعدة لها شاذ فاذا تكرمت الآنسة بقبول رجائنا ارجوك افادتي في الحال حتى ازف هذه البشرى الى فؤاد وهو يعتقد ان فوزه بمقابلتها نصر مبين.

فيا ليتني مي يتهافت الناس على رؤيتي ويخطبون ودي وانا برغم صدودي ونفوري هم لا يصدون ولا ينفرون. حقاً ان من يتاح له ذلك يحسد من الأعداء ويغبطه الأصدقاء من أجل المنزلة العالية - فهنيئاً لمي وتعساً لنا نحن أصدقاءها الذين يندر ان تلبي لنا رجاء مهما لججنا والححنا. غفر الله لها ما زالت تنزل بنا من الآلام والويلات فقد كان ابن عمها العزيز يكيل لها العذاب بحساب ولكنها تكيل لنا بدون

حساب ومع ذلك فانا نحبها ونهواها فما هو السر في هذه الشخصية المدهشة التي تسحر الألباب وتستهوي النفوس.

سلامنا عليها وعلى آلك الكرام

١٢ - ٨ - ٣٨

المخلص

خليل الخوري

* * *

سيدي الأخ أمين

أرجو ان تكونوا جميعاً بخير. ثم ارجو ان تتمكن من اقناع الآنسة مي بعمل طلب الغاء الحجر عليها او بامضائه على الأقل. وقد كتبت الى الدكتور شريف راجياً اياه ان يرسل لي تقريراً منه عن حالة الآنسة مي فاذا تهيأ تقرير الدكتور مارتن ضممنا التقارير الثلاثة اي تقريره وتقريري الدكتور شريف والدكتور جبور وأرسلناها مع الشهادة التي امضيناها امس بعد اخذ امضاء الدكتور زريف ومالك ومع طلب الآنسة مي وقد تولى الأستاذ يوسف صهركم اخذ تقريرالجنرال والتصديق عليه من قنصل مصر.

ولا أظن الآنسة مي الا ملبية هذه المرة. فقد انتهت المسألة اذ أصبحت في الحكم المنتهية.

سلامنا الى آلك الكرام ودمتم بخير

المخلص
خليل الخوري

ضهور الشوير
٢٩ - ٨ - ٣٨

وتكون صيغة الطلب الذي تمضيه الآنسة مي هكذا

«حضرة صاحب العزة رئيس المجلس الحسبي المحترم

«أتشرف بتقديم طلبي هذا راجية من المجلس الحسبي الموقر الغاء قرار الحجر الصادر ضدي في ١٩ ابريل ١٩٣٨ فاني والحمد لله لست بحاجة الى هذا الحجر واراني قادرة كل المقدرة على ادارة اموالي وسائر شؤوني بدون احتياج الى وصي او قيم ولذلك التمس من عزتكم ان تنظروا في طلبي هذا ولكم الشكر الجزيل.

***

CERTIFICAT

constatant l'etat de sante actuel de Mademoiselle MAY ZIADE

De l'examen pratique, le 28 AQUT 1938, il est permis de conclure que Mademoiselle MAY ZIADE se trouve dans un etat de sante normal.

Mademoiselle ZIADE passe l'ete dans une maison qu'elle a louee a FREIKE.

Elle s'occupe elle-même d'organiser et de surveiller les details quotidiens de la vie materielle et mesure les depenses avec sagesse.

Au point de vue intellectuel, il est facile de constater au cours de la conversation, la vivacite de son intelligence, la richesse de sa culture, l'étendue et la surete de ses gouts artistiques.

Son interêt sentimental et sa sensibilité s'etendent largement à la nature, aux êtres, aux idees, avec une mesure et une surete remarquables.

Ses qualites sociales sont parafaitement développées.

Ses paroles, ses gestes et ses manières sont empreints de la plus parfaite courtoisie, ainsi que d'une grande distinction naturelle.

L'humeur est gaie, mais Mademoiselle ZIADE se plaint d'être privee du droit de gerer ses biens.

Il n'existe pas de signes de maladies organiques.

En conclusion, Mademoiselle MAY ZIADE est actuellement dans un état qui lui permet de gérer ses biens sans aucune restricition et de jouir de sa capacité entière./.

BEUROUTH, le 30 AOUT 1938

* * *

حضرة المحترم الاستاذ حبيب ابي شهلا

بيروت

بالاشارة الى خطابكم بشأن طلب رفع الحجر عن الآنسة مي زيادة اتشرف باخبار حضرتكم ان مجلس حسبي مصر قرر تحديد جلسة ١٣ اكتوبر سنة ١٩٣٨ لنظر طلب رفع الحجر عن الآنسة وطلب اعلانها بالجلسة حيث انها تقيم بصفة مؤقتة ببيروت .

ويطلب المجلس الحسبي دفع ٢ جنيه مصري رسم الطلب بصفة امانة لعدم اتمام محضر الجرد .

وتقبلوا وافر التحية ،

قنصل المملكة المصرية
ببيروت

* * *

Twitter: @abdulllah1994

٢٦ ايلول ١٩٣٨

سيدتي الفاضلة الآنسة مي

تلقينا هذا الصباح كتاباً من قنصل المملكة المصرية في بيروت يعلمنا فيه ان المجلس الحسبي عينً نهار ١٣ اوكتوبر موعداً للنظر في طلب رفع الحجر.

وإنني ارسل طيه الكتاب المذكور لتتفضلي باعلامنا عن التدابير التي يجب اتخاذها قبل موعد الجلسة. وإذا جاز لي ابداء رأيي في الموضوع فانني اعتقد انه من الموافق تكليف احد المحامين بحضور الجلسة واستصدار الحكم إذ أخشى أن لا يتمكن القاضي من إصدار حكمه إذا لم يمتثل طالب رفع الحجر او من يمثله قانوناً. وهناك طريقة ثانية وهي ان نرسل مذكرة تفصيلية تؤيد الطلب والقاضي يحكم بموجبها.

فأرجو ان تتكرمي باعلامي عن الطريق التي يجب ان نسلكها حتى أقوم بتنفيذ رغبتك. وهذه الرغبة هي مقدسة عندي يسرني تنفيذها.

وفي الختام ارجو أن تكوني على أتم ما نتمناه لك من الصحة والهناء وان تنوبي عني بتقديم واجب الاحترام للأستاذ الكبير الريحاني وان تقبلي عواطف اخلاصي واحترامي،

الداعي

بهيج تقي الدين

* * *

مي في سطور
١٨٨٥ - ١٩٤١

- ولدت في الناصرة، فلسطين ١٨٨٥ من أبوين لبنانيين.

- جاءت في الرابعة عشرة من عمرها الى مدرسة راهبات الزيارة في عينطورة، كسروان، لبنان. وفي الصيف كانت تصطاف عند ذويها في قرية شحتول.

- التحقت عام ١٩٠٤ بوالديها في الناصرة وكانت قد انهت علومها. ومن الناصرة رافقت والديها الى مصر حيث تولى أبوها ادارة مجلة المحروسة، وواصلت هي دروسها.

- اصطافت في سنة ١٩١٠ في ضهور الشوير في الكوخ الأخضر. وزارت، بعد مطالعتها الريحانيات، أمين الريحاني مع والديها في قريته الفريكة.

- أصدرت سنة ١٩١٠ كتابها الأول بالفرنسية - أزهار حلم - تحت اسم «أيزيس كوبيا». والاسم يعني ترجمة لاسمها : مي زيادة. وبدأت تساهم في تحرير المحروسة فاسترعت انتباه رجال الفكر والأدباء في القاهرة وغدا منزلها صالة ادبية يؤمها رجالات الأدب من مصر ولبنان وأقطار العرب.

- في سنة ١٩١١ تراسلت مع جبران في الولايات المتحدة ودامت علاقاتهما الحميمة حتى وفاته.

- وفي ١٩٢٩ توفي ابوها و١٩٣٠ توفيت والدتها و١٩٣١ توفي جبران فآلمتها الوحدة وخنقتها الوحشة فاستعانت بالأسفار الى

ايطاليا، الى سويسرا، الى انكلترا، الى فرنسا ناشدة الراحة والبعد عن ذلك الجو القتال المكفهر.

- عادت سنة **١٩٣٦** الى لبنان تطلب في جوه النسيان وفي نسيمه بسطة لصدرها الموحش المألوم. فوقعت في المحنة المذكورة في هذا الكتاب.

- وفي سنة **١٩٣٨**، وكانت ما تزال في لبنان، اقنعها صديقها الريحاني بالاصطياف في الفريكة وكان كذلك. وفي آخر الصيف رجعت الى القاهرة وعاشت فيها الى ان فارقت الحياة في مستشفى المعادي في ١٩ تشرين الأول ١٩٤١.

***

تآليف مي

عام	
١٩١٠	ازهار حلم - شعر بالفرنسية - بتوقيع «ايزيس كوبيا»
١٩١١	ابتسامات ودموع - ترجمة عن الألمانية
١٩٢٠	باحثة البادية - درس شخصية ملك ناصف
١٩٢٢	سوانح فتاة - شذرات افكار
١٩٢٢	كلمات واشارات - مجموعة خطب - اجتماعية وفلسفية
١٩٢٤	الصحائف - صحائف اشخاص ووصف رحلات السندباد
١٩٢٥	الحب في العذاب - رواية مترجمة عن الانكليزية
١٩٢٥	رجوع الموجة - ترجمة بين المد والجزر - أدب وفن وحضارة
	ظلمات واشعة - مقالات شعرية
	المساواة - دراسة في القضية الاجتماعية

* * *

محاضرات

١٩٢٢ غاية الحياة

١٩٣٨ رسالة الأديب - ألقتها في الجامعة الاميركية - بيروت - عندما كانت في محنتها.

ولها مقالات غير هذه لم تنشر بعد - وكتاب «ليالي العصفورية» وكانت اخبرت البرت الريحاني به عندما اصطافت في الفريكة سنة ١٩٣٨.

ثم رسائل الى جبران والى غيره من الأدباء

* * *

قد اعد البرت الريحاني «مي في سطور» و«تآليف مي» حفاظاً للتاريخ وللتدليل على ما كان للفقيدة من مقام علمي وادبي رفيع.



هذا البيت سكنته مي في الفريكة صيف ١٩٣٨ . ويبعد عن بيت الريحاني الى الشرق منه ٥٠ متراً . وكنا نزورها مراراً في كل اسبوع . والشقيقة سعدى كانت تمازحها وتلاعبها الورق في السهرات .

الفهـــرَس

الموضوع | الصفحة

أمين الريحاني

قصتي مع مي

كثرت الاشاعات حول العلاقة العاطفية بين مي زيادة وأمين الريحاني: كيف ومتى اجتمعا وتراسلا وتبادلا مؤلفاتهما وآراءهما، وما رافق هذه العلاقة من مد وجزر وصعود وهبوط.

وكثرت أيضاً الاشاعات حول محنة مي: اسبابها وظروفها ونتائجها، ودور الريحاني في كل ذلك.

وهذه المخطوطة، قصتي مع مي، التي تنشر للمرة الأولى، بعد مرور أربعين عاماً على موت الأمين وتسعة وثلاثين على موت مي، ليست سوى «اعتراف واستغفار» كما يقول فيلسوف الفريكة وليست سوى وجه من وجوه السيرة المحبة النابضة المتألمة المتفاعلة عند كل منهما.

المؤسسة العربية
للدراسات والنشر
بناية برج الكارلتون – ساقية الجنزير
ت: ٣١٩١٥٦–٣١٩٤٨٦–برقيا، موكيالي، بيروت
ص. ب.: ١١/٥٤٦٠ بيروت

الثمن ١٠ ل.ل.
أو ما يعادلها